البدوي الملثم

البدوي الملثم ، يعقوب العودات ، يموت ؟ يـا لضياع البسمة المشرقة ، والمروءة النادرة ، والوفاء العظيم الذي قل مثيله في هذا الزمان .

وبالسكتة القلبية ، تقف خفقات الرجل الاديب الانسان الذي حبا الناس كل ما في قلبه من المشاعر النبيلة الحية ؟ انها لمأساة محزنة تؤكد مـن جديد ان الذكر الحسن ، والعمل الطيب ، هما من أينع الثمار الباقية ، بعـد غياب الكائن البشري عن صفحة الوجود .

البدوي الملثم الذي اقترن اسمه باسم « الاديب » منـذ سنوات طوال ، وصاحب القلم الذي طالما اخضوضر الحرف بين ثناياه ، وتألقت فوق شفيه ، كلمات المحبة ، وتعابير الود المصفى ، والمؤلف الذي اغنى المكتبة العربية بكتبه وبأبحاثه العميقة المدروسة المتزنة المنصفة ، يقضي في عمان ، عمـا لا يتجاوز الستين من السنين ، ويتلفت عارفوه من حوله ، فيرون ذلك الاثر الخالد الذي احدثه في الادب المعاصر ، ولا سيما بالنسبة لاعلام الفكر والادب في فلسطين .

لقد كان البدوي الملثم يشعر أي ظلـم يلحق بادبـاء فلسطين ومفكريها وشعرائها ورجال التربية والعلم فيها ، فاذا به ينهض الى مهمة شاقة ، والـى عمل موسوعي ضخم ، يكشف فيه بروح المحبة والانصاف والموضوعية ، عـن كنوز مجهولة ، وعن صفحات مطوية في حياة حملة الاقلام ، والعاملين في مجـال الفكر ، من ابناء فلسطين التي طالما كانت قديما وحديثـا محط انظار الطامعين الغاصبين . وقد كان من دواعي اعتزاز « الاديب » ان تنشر تلك الفصول المطولة التي ما زال لديها الكثير منها ، وسوف توافي بها قراءها في الاعداد القادمة .

ولعل المخلصين من ابناء البلاد العربية يتنادون الى جمع هذه الآثار القيمة التي تركها البدوي الملثم ، فتطبع في اجزاء ، لانها ، ولا ريب ، ستغني المكتبـة العربية ، وتنصف ادباء الوطن الفلسطيني العزيز .

ان مجلة « الاديب » التي لم تشعر بالخسارة المعنوية والمادية التي لحقت بها قدر ما تشعر بها اليوم بوفاة صديقها الغالي البدوي الملثـم ، لتدلي بشهادة الحق امام الرأي العام المفكر ، معترفة بان البدوي الملثم ، بما بذله مـن جهوده الجبارة من أجل اقالة عثرة « الاديب » وانهاضها من كبواتها الماديـة المتلاحقة ، وتأمين الاعلانات لها من بعض الدول العربية ، واستقطاب المشتركين والمناصرين لها من كل ديار له فيها رابطة صداقة، هو في الندرة القليلة الضئيلة من الاصدقاء الاوفياء الذين لا تعوض خسارتهم .

وعزاؤنا ، وعزاء عائلة البدوي الملثم الصغيرة ، وعائلة اصدقائه رجـال الفكر في دنيا العرب ، انه لم يمر في هذه الدنيا الفانية مرور الكرام ، وانما خطا في ميادين الفكر خطوات ستشهد بفضله ، وتتحدث بأثره الطيب .

الاديب



غانم الدباغ

امام تجربتي في القصة

بقلم غانم الدباغ

***

يبدو ان وقوفي موقفا يشبه الاعتراف امامكم (١) ، كواحد يدعي انه مارس كتابة القصة القصيرة بين قافلة طويلة بدات مسيرتها منذ عقود عدة ، ستكون مجابهة ان لم تثر فضولا ، فهي لا تخلو من اضافة على اية حال .

كأبناء هذه البيئة المتناظرة جنوبا وشمالا ، وعيت القصة حكايات واساطير شعبية ترويها جدتي من معين لا ينضب لديها ، تهدهدني بها لاغفو واذ تنسل عني وينقطع صوتها ، افزع من تهويمة النعاس ممسكا بتلابيبها واشباح السلاطين والسعالى تطاردني ...

في بداية كشفي للحرف ، وانا ما ازال في مرحلة الدراسة الابتدائية وقعت على نسخة متهرئة من رواية « بول وفيرجيني » للكاتب الفرنسي « برنار دي سان بيير » ولا عجب ان تمكنت من قراءتها واستيعابها ، فتلميذ السنة الثالثة او الرابعة الابتدائية في عقد الثلاثينات غيره في نفس المرحلة من عقدنا هذا ...

عشت جو الرواية الرومانسي ، وكنت انا بول بكل معاناته ومأساته حيث قضى نحبه غريقا تقذفه الامواج امام فيرجيني التي كانت تنتظر اوبته على الساحل .. واذكر اني قرات الفصول الاخيرة باكيا بصمت ، واهل الدار يبحثون عني حتى التقطوني في علية بالدار منكبا على الرواية التي بللتها دموعي ..

في نفس العام الذي قرات فيه « بول وفيرجيني » اشار معلم اللغة العربية يوما الى موضوع انشائي كتبته عن احدى حكايات لافونتين للاطفال ، فأعجب به وقراه امام الطلاب ، وكالعادة طلب من التلاميذ ان يصفقوا لي، فصفقوا لكن ببرودة ، وانهالت علي التهم ... اخوك الكبير كتبه ، عمك الموظف .. لكن الموضوع قدم الى مدير المدرسة الذي ارسله الى مجلة طلابية كانت تصدر في ذلك الحين لنشره فيها ، ولا أدري أنشر المقال ام لا ..

لكن الذي ادريه ان المجلة كانت قد توقفت عن الصدور ... وقد تتساءلون .. ما الداعي الى ذكر هذا ... لقد كان له اثره في نفسي واعتبره اول منحنى في حياتي نما رغبة التتبع والاهتمام بعالم القصة ...

في اواخر الثلاثينات ، اصدر ذو النون أيوب مجموعته الاولى وهي « رسل الثقافة » .. وكانت اول كتاب اقتنيه ، ويصبح فيما بعد نواة لمكتبتي القصصية وهو كذلك اول مجموعة قصص عراقية تشدني اليها جراة في الصوت وقوة في تناول الاحداث القريبة من البيئة التي اعايشها ... لقد ايقظ صوتها المتميز وجداني الذي كان غافيا على مترجمات المنفلوطي ولوحات محمود تيمور .. وعن طريقها وضحت لي المدرسة الواقعية في اصوات آخرى تنطلق من كتاب لبنانيين كخليل تقي الدين وتوفيق عواد ورئيف خوري وعمر فاخوري ولطفي حيدر هذا عن المترجمات القليلة لغوركي وتورجينيف وغوغول وغيرهم .. رغم ان هذا الانضواء لم يصرفني عن متابعة ما كانت تضخه مطابع القاهرة من مترجمات في سلسلة « روايات الجيب » .

ولعل من الطرافة بمكان ان اذكر حدثا ذاتيا آخر.. لا بد وان بعض الزملاء قد مروا بما يشبهه ، لكن له دلالته الخاصة ..

كنا نحن ابناء الجيل الوسط او المخضرم ، او سمونا ما تشاءون ، وخاصة في المدن التي تقل فيها وسائل اللهو ، ويتمسك أهلها بالمحافظة او يمنعون اولادهم عن اللهو في الازقة نقضي اوقات فراغنا وعطلنا داخل البيوت .. ماذا تتصورون كنت اصنع في بعض اوقات فراغي ..؟ كنت أصدر مجلة منزلية بحجم الكف ، وما ازال اذكر اسمها لحد الآن ... « المصور العراقي » تشبها بمجلة المصور المصرية وكنت أنا المحرر والطابع والناشر ... وكان القارىء الوحيد لها ، وبالاكراه طبعا ... هو اخي الصغير ... وكنا نحتاط في امر صدورها خشية ان يطلع عليها أحد من اهل المنزل .. وبعضهم يعرف القراءة .. حتى وقعت يوما في يد رب العائلة ، فأختطفها من قارئها الوحيد ، وراح يتطلع الى ما نقوم به من عبث

١ ــ القيت في مقر (اتحاد الادباء في العراق) ضمن ندوة في موضوع « امام تجاربهم القصصية » .

... تصفحها ... وانا واخي نراقبه بأشفاق .. توقعت تشجيعا كتشجيع معلم اللغة العربية ، او تلطيفا كتلطيف مدير المدرسة .. لكن ما حدث .. وهو ما كان اكثر توقعا ، ان نالتنا الصفعات بدلا من التصفيق ، ثم امسك بالمجلة الصغيرة ، يتلفها دعكا وتمزيقا ثم يذرها في الهواء ويردد خلال ذلك حكمة الشيوخ الخالدة .. ان انصرف الى دروسك .. توقفت المجلة عن الصدور .. واعلنت للقارىء الوحيد انها ستستأنف الصدور بعد زوال الرقابة .

بعد ذلك كنت اتحايل على ما أنال من مصروف يومي زهيد لاشتري به ما يصل البلد من مجلات عراقية تهتم بالقصة كالحاصد والهاتف وفتاة العراق ، ولما كنت اعلم باني سأحاسب حسابا عسيرا اذا ضبطت هذه المجلات بيدي فقد كنت أخفيها عند دخولي في جيب البنطال الخلفي لاقرأها خلسة ثم أضعها بين كتبي المدرسية ، وكثرت هذه المجلات وطغت اعدادها على باقي الكتب ، وكانت امي تهدد باطلاع رب العائلة عليها ان عصيت لها أمرا ، او رسبت في درس ما ، وقد حصل هذا حين عدت يوما لارى رب العائلة يبعثر ما تعبت في جمعه سنوات ، وحرصت على اخفائه ، لم يكتف بتوبيخي وتهديدي بالضرب ، بل امرني بنقلها جميعا الى غرفته ، وحذرني من ادخال اية مجلة او كتاب الى الدار بعد اليوم ...

ضاقت علي الدنيا بما رحبت ــ كما يقال ــ فماذا اصنع ...؟

في المدينة مكتبة عامة للمطالعة ، لكن الدخول اليها كان وقفا على طلاب الدراسة الثانوية او من في مستواهم .. وطالما حومت حولها وفي نفسي لهفة لاقتحام هذا الحصن الذي يحوي كنوز المعرفة .. وغامرت يوما وعبرت مدخلها فاوقفني البواب سائلا عن مرحلتي الدراسية ، فادعيت اني في الدراسة المتوسطة ، لكنه حدق في طويلا ، ثم قادني الى مأمور المكتبة ، وكان رجلا مكتبيا يلتزم بحرفية التعليمات ، فسألني عن اسم المتوسطة التي ادرس فيها ، فتلجلجت وبحت له بالحقيقة ، فربت على كتفي ، وبادرني بالنصيحة التقليدية ان انصرف الى دروسك ، وانه سيرحب بي حين اجتاز دراستي الابتدائية ، التي ما ان اجتزتها حتى أصبحت من رواد المكتبة المزمنين ، أدخل مع فتح ابوابها ولا أغادرها الا مع انتشار العتمة .

في الاربعينات ، كان جعفر الخليلي يصدر مجلة « الهاتف » ، فأرسلت له قصة .. لم تكن القصة حينذاك تعطي صفة القصيرة او الطويلة ، انتظرت ... نشرت القصة فأتبعتها بأخرى .. وهكذا ...

دعوني هنا أضع نفسي تحت مبضع قاس .. ان نفس الاقاصيص التي أرسلتها الى مجلة « الهاتف » ، ونشرت تحت عبارة (تشجيعا للناشئة) كنت قد عرضتها على عبد الحق فاضل وكان يصدر مع (يوسف الحاج الياس) مجلة « المجلة » بالموصل .. حاول هذا الرجل الانسان ، ان يأخذ بيدي فنصحني ان اطوي هذه القصص او اعيد كتابتها ، فلم انتصح ، وتصورته يقول لي (انصرف الى دروسك) لكن بلغة مهذبة .. وزادني غرورا انها نشرت في مجلة تصدر عن بلد آخر .. وعرضت ما نشر منها عليه مزهوا ، لم يقل الرجل شيئا وابتسم .. وانا ادرك اليوم ان لابتسامته اكثر من معنى، واكثر من كلام ، كان الرجل يبتسم اذا عجز عن ايصال الحقيقة الى الاخرين .. وكانت لغة السكوت عنده ليست عجزا عن الايصال .. لكنه اعجاز للاخرين ... لم احقد عليه وقتها ، لا لانه نشر لي اشياء اخرى في مجلته ولكن لان عبد الحق فاضل كما عرفته انسانا ، لم تمسح شخصيته لحد الآن في ذهني اي شخصية ادبية اخرى عرفتها ...

في السنوات الاولى لممارستي التعليم في القرى النائية ، اقبلت على قراءة القصص بالانكليزية ، ورايت ملئا لفراغي الطويل ان اترجم بعضها ، ونشرت اكثر ما ترجمت في بعض المجلات العراقية واللبنانية ، واخترت بعد ذلك مجموعة منها ، نشرتها تحت عنوان « قصص من الغرب » لقد اثرت ترجمتي تلك ــ لا قراءاتي ــ فيما كتبت بعد ذلك من قصص ، وقد بدا ذلك بوضوح في تسبيقي القول على القائل او افتعال النهايات التقليدية لتشيخوف وموباسان ، والتمسك بأهداب القارىء حتى اللحظة الاخيرة ، وكنت أشعر بوطأة الحوار الذي يتعامل به (وسمرست موم) (وهمنغواي) (سولوكوب) و (كاترين مانسفيلد) مع ابطالهم ، يتسرب دون وعي من خلال ما أكتب ، وللتخلص من هذا التأثير والايحاء غير المباشر وتجنبا من السقوط في مأزق التقليد ... كنت أعزف عن قراءة القصة او ترجمتها لفترة طويلة ، تاركا في ذهني صفحة بيضاء لتجاربي ، وترسيخ اسلوبي الخاص فالاسلوب هو الشخص ، كما يقول الناقد (سنت بيف) .

في اواخر الاربعينات كانت تجاربي في الحياة قد اتسعت نوعا ما ، وقراءاتي قد تعددت لم تعد قراءة القصة ابدا هي محور اهتمامي الاول .. كنت اقرا في علم النفس .. في التاريخ .. في التراث .. في التراجم .. لكن جفاف العلوم الطبيعية كان يبعدني عنها الى حد ما ... ، ورغم وجودي في اماكن نائية ، فقد كنت أحصل على المجلات الشهرية التي كانت تصدر تلك الايام مثل « الكاتب المصري » و « الكتاب » و « الهلال » و « القصة » و « الاديب » ...

ولاثقل عليكم قليلا بحكاية القصة التي أعتبرها اول قصة لي تقف على قدميها ... وهي « تلك الليلة » المنشورة في مجموعة « الماء العذب » ..

القصة وليدة تجربة حقيقية ... لكن كيف ولدت ..؟

لقد عاشت في عقلي الباطن طويلا .. والقصة كالجنين تماما، تنمو ببطء، لكنك لا تدرك ساعة مخاضها التي قد تأتي في وقت لا تتوقعه ابدا ...

عدت يوما بعد امسية صيف حار الى الدار ... ومدينتي ككل المدن في العراق تغفو مبكرة، وكنت في سهرة مع اصدقائي ... افتعلنا المرح .. ضحكنا بهستريا بادلنا بعضنا البعض النكات ثم انصرفنا الى بيوتنا عند مفارق الطرق والازقة ... ولجت الدار، وهو كعهدي به موحش ... تنتظرني فيه عجوز يبدو راسها من السطح وهي قلقة تحوقل وتتعوذ ... الوقت جاوز منتصف الليل، في ذهني تحول غريب يغذيه ضجري من الواقع ... صور عديدة للعالم تتزاحم في ذاكرتي ... اريد عالما آخر .. العالم الذي تتحدث عنه الكتب المبعثرة امامي تشيخوف ... زولا ... هوغو ... ديستوفسكي .. توفيق الحكيم .. نجيب محفوظ ... استمعت الى بيتهوفن ... وروسيني .. اشجاني الاول .. وامدني روسيني بفرح طاغ .. استمعت اكثر ... بدات احس انفصاما في شخصيتي .. اشتد انفعالي .. تذكرت حادثة جرت لي في صيف عام مضى ... امراة جميلة كانت جارة لنا، كلفت بأيصالها الى بغداد ايام الحرب العالمية الثانية، وكانت القطارات معتمة لضرورات الحرب .. المراة رفيقة الصبا، لكنها متزوجة الآن .. دار صراع رهيب في ذهني خلال الظلام .. ارهبني الموقف .. لكنني لم أستجب لاي نزوع غير اخلاقي .. بدات اكتب .. كتبت كثيرا ... الليل يمضي وأنا اكتب واكتب .. لم اذهب الى الفراش في تلك الليلة حتى الفجر .. وكانت القصة تفريغا طبيعيا لهذا الصراع الذي كنت اعانيه الصراع بين ما ننشأ عليه وما يشدنا اليه من قيم خلقية او روحية .. وبين ما نقراه ... ثم نريده ...

أحب تلك القصة ... واعتبرها البداية الحقيقية ... ارسلت القصة الى مجلة « القصة » المصرية .. وكانت تصدرها « دار النداء » الوفدية بالقاهرة للاشتراك في مسابقة اقامتها المجلة حينذاك ... لم تصل القصة في الموعد المطلوب .. لكنها نشرت كنموذج لقصة من العراق ...

كتبت قصة (الظلام المخمور) عام ١٩٥٣ مساهما في مسابقة للقصة اقامتها مجلة « الآداب » البيروتية ... في الظلام المخمور كانت لي تجربة اخرى، فقد كتبتها وارهاب الحكم يتصاعد، وحلف بغداد على الابواب، فخامرتني وساوس وشكوك بشأنها، فهي لو نشرت بنصها الكامل فستجر علي بعض المتاعب، او تمنع المجلة من دخول العراق .. اتصلت بسهيل ادريس اطلب منه حذف بعض السطور والفقرات التي تدين الوضع القائم حينذاك، او تشير الى بعض الشخصيات العالمية المحرم ذكرها ... لكنني فوجئت بأختيارها لاحدى الجوائز، فازداد قلقي خوف ان تنشر بنصها، لكن يبدو ان الرجل نفذ ما طلبت وحذف السطور التي اشرت اليها، ونشرت القصة بالشكل الذي اردته، لكنها بقيت ذات دلالات وادانات واضحة، وضعتني لفترة طويلة تحت انظار جلاوزة الشعبة الخاصة في حينه.

امدتني قصة الظلام المخمور بطاقة جديدة من الثقة، كتبت بعدها بفترة طويلة قصة « الماء العذب » والتي اعتبرها القصة الام او المحور الذي بدأ يشدني اليه فيما كتبت بعدها من قصص.

كانت « الماء العذب » مكثفا لتجارب حية وعميقة عشت كل دقائقها، وهي اذ تتبنى التداعي اسلوبا، فقد جعلت الفكرة هيكلها وعمودها الفقري ... لقد أتعبتني هذه القصة كثيرا وعاشت هي الاخرى في ذهني طويلا..

كانت بدايتها مقالة قصيرة نشرت بعنوان « رسالة الى صديق » أتحدث فيها عن معاناة (معلم في الارياف) ... ولما كنت في بؤرة التجربة فقد ظلت فكرة تحوير الرسالة الى قصة تنمو في داخلي، وتداعى مع استمرارية وتراكم انفعالي مسيطر، وازمة تصدعني في تعامل يومي مع الاحداث ... وحين اعتبر قصة « الماء العذب » من القصص الناجحة، فلان مضمونها الانساني وتقنيتها الجديدة والتي طغى فيها سقوط البطل في النهاية أديا بي الى رؤية واضحة للصورة الجديدة التي بدات ارسم بها شخوصي.

اضحى هذا البطل ظاهرة ملازمة للقصص التي تلتها، فليس هو بالتأكيد بطل الضياع والقلق والغثيان الذي واكب أقاصيص ذلك العقد من السنين لكنه ظاهرة التوحد والتفرد والهروبية التي يلجأ اليها المثقف حين يختنق بأجواء ظلامية، فيرفض ويتمرد ... ولان ظاهرة تمرده ورفضه لا يملكان قوة الاستمرار والبقاء والنمو، فهو صريع حتمية السقوط ... لذا اصبح البطل عندي منذ « الماء العذب » محكوما ابديا يحمل دون اختيار قضية فشله المسبق ... وفشله هذا لا يوقعه في متاهات السلبية والعدم، بل يحيله بطلا آخر يتطهر بنار انهزامه، لاجئا في هروبه نحو مخدر يمتص عذاباته فيها ... وقد يكون هذا المخدر نزوعا الى الجنس كما في « الماء العذب » بالذات او الانغماس كما في « الظلام المخمور »، او يتساقط اجزاء ما يلبث ان يلملمها اصراره وتشبثه كما في قصص « السوق الكبيرة » و « عمل في المدينة » ... لكنه يقع صريع واقعه، فهو ملتزم، لكن لالتزامه غيبية الميتافيزيقي كما في « ليلة اغريقية » و « الرصاصة » و « ستنتهي الحكاية » ...

في اواخر الستينات اجتزت رؤيا جديدة، حاولت

كأنني هدف الايام

ابيت ليلي لا انس ولا سمر ... ولا نديم ولا حب ولا وتر
فقد تطاول والاسداف مطبقة ... وصاحباي به الآلام والضجر
احيا بثغر غريب الوجه مضطربا ... كزهرة في حواشي الروض تحتضر
او طائر هاضت الاقدار جانحه ... فحط في الدوح لا صوت ولا خبر
نـاء عن السرب والآلام تعصره ... في وحدة ضج منها النهر والزهر
كانه شاعر قد غاب عن جبل ... تراقصت في ذراه الشمس والقمر
فللسكون جلال فوق قمته ... كانه من جلال الخلد منحدر
صنين اعني وهل في الارض من جبل ... يحكيه اما بدت من فوقه الزهر
في سفحه بات اهلي هانئين به ... وكان لي في بعادي الداء والكدر
على المباضع سالت مهجتي وغدت ... ركائز الصبر بعد الدعم تتاطر
كانني هدف الايام تفرسني ... وفي نواجذها الاسقام والخطر
فهل لها عند اهل الشعر موجدة ... فكل حاقدة بالويل تنفجر
لكنني رغم ما القاه من محن ... أموج القول مثل العطر ينهمر
وابعث الشعر الحانا مجنحة ... فينتشي من شذاها البدو والحضر
فما الحياة سوى اغنية خلدت ... هيهات يقوى على افنائها البشر

لاباز ـ بوليفيا

جورج الكعدي

ان اتخطى بها المجموعة الاولى ، ففي قصتي « رجال بدون ملامح » و « سوناتا في ضوء القمر » التزام واضح بالواقعية عن طريق مدخل يبدو تجريديا لاول وهلة ، لكنه لا يفرز المضمون الواقعي ولا يطرحه بعيدا بل يشمله بكشف مستمر كما في اقصوصة « اطفالنا ما زالوا يحلمون » و « الامتحان » ..

في قصتي « سوناتا في ضوء القمر » و « رجال بدون ملامح » يبدو كأن الخيط قد انقطع ... لقد اردت فعلا صدم القارىء ، لا بالخروج عن الاطار التقليدي فحسب، لكن نزوعا الى ممارسة ليس فيها أي تأثر بالموجة الجديدة المتكلفة ..

لقد بدات اشعر ان توسع أفق الكاتب ، يتسع مع استمرارية اطلاعاته واهتماماته الثقافية ، وان مقاييس معينة واساليب رتيبة قد تستنفد لديه فيتولد عنده الاحساس بضرورة التجديد وتجاوز المرحلة ، لكنه عندي لم يصل حد الاقتناع بضرورة التقليد ... وان اي ازمة تنبثق اثر صيحة من هنا او صرخة من هناك ليس فيها اكثر من اصطناع متكلف لتلبس اطار الحداثة دون هيكلها ...

حين بدات الممارسات الحديثة لكتابة القصة ، وراحت اقانيمها التقليدية تتهشم في موجة جارفة من التقليد ، لم اجار نزعة الاغراب للاغراب ، وبدات في رصد للعلاقات الجديدة القائمة في المجتمع بين اسلوب حياتي يحتضر وآخر ينمو في ضمير بدوي رافض ، أمست تبهره الروابط المادية القائمة على اندحار المفاهيم الغيبية ، فالانفصام وكبرياء البداوة في اهاب التحضر السطحي ، وتفتت العلاقات العشائرية من الخارج وتجمعها ضمن رباط المعاصرة المهزوزة ، يستقرأ بوضوح في اقاصيص « الوباء » و « مثلث الرغبة » و « الشلال » و « الصورة » ...

ان استيعابي لمفهوم القصة يحدده خروجي من سجن المجتمع ضمن ارادة التغيير ، وانفعالي بهذا المسار يأخذ شكل التفجير المستمر لنوعية الاستجابة مع البيئة وتصوري لنقيضها الاصلح ، واداتي في كل هذا قد تستنفد مدلولاتها ، وتستهلك محتواها لفترة ما ، ولكن صورتها التكاملية لا تنفك تتجدد من الداخل ، لتتنامى مع مسيرة العصر ، فكل حداثة عندي منسوخة دائما .. والنموذج البديل يحيا في عنفوان لا يخبو ... ولا بد من تسليحه باستمرارية فاعلة واداة تعبير سليمة لا يرفضها الذوق ولا تلغي اطار الواقعية .

بغداد

غانم الدباغ


البدوي الملثم

البدوي الملثم - يعقوب العودات

« عاش نظيفا ومــات نظيفا »

بقلم محمد اديب العامري

وزير الخارجية والتربية والاعلام الاردنية سابقا

***

لم يكن « البدوي الملثم » حين توفي بالامس رحمه الله على موعد مع الموت او في مرتقب منه ، بــل فاجأته المنيــة مفاجأة خاطفة وهو في صحة حسنة وسن مبكــرة لاديب منتج . ولذلك هزت وفاته عواطف اصدقائه هزا عنيفا ، لوقع المفاجأة ، ولما امتاز به من الشخصية المحببة والوفاء النادر ، والخدمة الدائمة لاهله ورصفائه وبلده .

وهكذا انطوت صفحة ناصعة لكاتب اردنــي اديب وضع نفسه بين اكثر كتاب العربية انتاجا وارقهم ادبــا وارهفهم حسا .

واحسب ان قراء « الاديب » يعرفــون الفقيــد الراحل خير معرفة ، فقد ادى فيها برهــة طويلة مــن الزمن رسالة المطالعات المتوالية للكتب الجديدة والاسهام الدائب بفصول الموسوعة المهمة « اعلام الفكــر والادب في فلسطين » . وقــد عاجلته المنية وهو يعــد العدة للسفر الى سورية ولبنان والعراق للبحث عن حيوات بقية مــن رجال الفكر والادب الذين دأب على انتاج موسوعته مــن اجلهم واجل بلادهم .

وقد بكر المرحوم العودات في انتاجه الادبي ، فكتب منذ سنة ١٩٢٧ ، وعمــره سبع عشرة سنة ، مقالاتــه الاولى في صحف سورية وفلسطين . واصدر منذ عــام ١٩٣٧ كتابه الاول « اسلام نابليــون » وقفــى عليه بـ « القافلة المنسية » ، ثم بواحد من آصل كتبه واهمها وهو « الناطقون بالضاد في اميركا الشمالية » (١٩٤٦) . ثم اصدر بعد سنوات عشر كتاب « الناطقــون بالضاد في اميركا الجنوبية » . وقد جاب الاميركتين مــن اجل كتابة هذين الكتابين الكبيرين . وقــد اصدر بينهما « الغواني في شعر ابراهيم طوقان » ، ثم « الوطن في شعر ابراهيم طوقان » ، ثم « ابراهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته » . وبين كتبه عن ابراهيم اصدر كتــاب « عرار - شاعــر الاردن » ، مصطفى وهبي التل . ثم اصدر كتبا اخرى كان منها « رسائل الى ولدي خالد (ج١) » و « عبد العزيز الرشيد - رائد الاصلاح وشيــخ مؤرخــي الكويت » (١٩٧٠) ، وهو آخر ما انتج واصدر من العشرين كتابا التي اصدرها في حياته .

ولكن للبدوي الملثم نحو خمسة عشر كتابــا مخطوطة جاهزة للطبع ، منها كتابه الموسوعي الــذي اشرنا اليه « اعلام الفكر والادب في فلسطين » ، والذي تقدر مادتــه بخمسة مجلدات من القطع الكبير ومعدل الثلاثمائة صفحة للمجلد الواحد . وتشمل كتبــه الاخــرى المخطوطة « رسائل الى ولدي خالد (ج ٢) » و « عنترة في حربه وشعره » و « ابو القاسم الشابي » و « مــي في حياتهــا ومأساتها وادبها » . وكانت لجنة قد الفت مــن رجال الفكر الاردنيين لاصدار كتابه « اعلام الفكــر والادب في فلسطين » ، ولعل اللجنة تنهض لنشر هــذه الموسوعة القيمة التي تعتبر من اهم المراجع الادبيــة التاريخية في عصرنا الحاضر .

وثمة سمة مشتركة بين كتب البدوي الملثم هي في نظري ابرز مزاياه كأديب ، وهي ميله الى التراجم . كان هذا الميل يتبدى في احاديثه ، فقد كان ذا موهبة خاصة في معرفة الناس وعلاقاتهم ، بعضهم ببعض .

ومع ان كتابه رحمه الله في « اعلام الفكر والادب في فلسطين » هو ذروة انتاجه ، أصالة وضخامة ، فــان كتبه عن ادباء المهجر في الاميركتين تعتبر من كتب الطليعة في هذا الباب ، اضافة الى ما تتصف به من مزايا البحث والتنقيب . وتبرز كتبه هذه ناحية اخرى مــن نواحي انتاجه ، فقد كان يجوب البلاد علــى نفقته الخاصة في سبيل التحدث الى مــن ينوي الكتابة عنهم ومعاينــة احوالهم ودراسة شخصياتهم . ولذلك امتــاز انتاجه بصفات البحث والتدقيق المفرغــة في قالب الكاتب الادبي المطبوع .

ولا يخطىء المطالع فيما انتجــه « البدوي الملثم » نزعته في محاولة النفوذ الى « انسانية » من يترجم له او

المريضة

عرفت من قلت فيها هذه الابيات منذ اربعين عاما . وكنت احبها حبا روحانيا . وكانت ذات زوج . ولما استأثر بها الغياب عن دنيانا ، كتبت من اجلها ابياتا في الوفاء ارسلتها الى زوجها ـ وهو صديقي ـ وكان يومئذ وزيرا .

وكنت منذ ايام اجوس بأصابعي خلال اوراق لي قديمة ، ولست ادري ما ساقني اليها ، واذا بي اجد تلك القصيدة فآثرت تجديدها لتهدى ندية جديدة عبقة بالاحزان ، على طيف الذكرى ، الى روحها. وكانت تشاهد وجدي بها ونحن طالبان في كلية الاداب بدمشق كانت هي فتنة الوجود ، وكنت شابا غرانقا منكسر الروح ليتم اصابني وانا صغير ظل اثره في نفسي وفي شعري .

أفدي المريضة من دمعي بمسكوب — وآهتي ملء صدر جد مشبوب
لو استطعت مزارا زرتها ولكم — مررت بالباب لا أحظى بمطلوب
يا منية العمر ، ما أحلى بهاك لنا — كأنما كنت يوم الحب مرغوبي
حيرت في مشية تمشينها وبها — ميل بخطو على أحشاء محبوب
وخصلة الشعر ما طاف النسيم بها — الا ليلهمها تعذيب مسلوب
لولا العقارب في الصدغين كان لنا — لمس وما جاءنا الا بمعطوب
جاء الطبيب فجس النبض ملتمسا — في الصدر دقات قلب ذات تطريب
فقلت يا ليتني كنت البديل له — أشفي ضناها بلا عسر وتعذيب
أنا المطبب للخفاق ، أعرفه — أحنو على وجده تحنان تطبيب
لعودها في حنو الحضن رمز جوى — هو الوليد الذي ناغى بتحبيب
لم أدر مرقدها ، لم أبغ معرفة — تتم قصتها في شجو مكتوب
يغير الدهر آثار الهوى وله — في مهجة المرء مواج الاعاجيب
حيرت شعري ، فهل اروي روايتها — فيه وأهتك من مكنون تنقيب
مرت بعمري ، وراحت عنه سارية — ليل الحياة بعيش خلف محجوب

أديبة الفكر ، ما غادرت موئلنا — قد صرت نجما بلا حجب وتغريب

دمشق — زكي المحاسني

يكتب عنه ، فقد كان هو انسانا . ومحاولته تلك شحذت نفسه لنصرة القيم الاخلاقية الثابتة ، فاقام لها هيكلا في كيانه وبحث عنها فيمن يصادق من الناس ، وآلت به الى الدفاع عن قضية فلسطين والى نوع من الالتزام الفكري في الادب . ولذلك يعتبر البدوي من اكثر من عرفت من الكتاب الادباء مطابقة بين القول والعمل والسلوك .

ومع ذلك فلم يكن ليعقوب العودات التزام سياسي. ويبدو لي ان نقاوته الفكرية والخلقية ادت به الى قدر من العزلة لا ينسجم مع مقتضيات التحزب السياسي . ولقد اصاب احد الكتاب الاردنيين حين كتب صباح وفاته فقال : « ان الاديب العودات لم يكن يختلف في حياته كأديب عن حياته الشخصية ومسلكه كمواطن وانسان في المجتمع ، فهو كما كان صادقا وامينا في انتاجه الادبي .. كان يصدق ويسمو في اخلاقه الشخصية وعلاقاته العامة » . واصاب كاتب اردني آخر حين وصفه « بالنظافة الى حد الطهارة والتواضع الى حد الانزواء والغياب عن الانظار والثقافة الواسعة دون ادعاء » .

وكانت اخلاق البدوي الخاصة مزيجا من القديم والحديث ، البداوة والحضارة . ففي حساسيته وكرمه واستقلال فكره ووفائه كان بدويا عريق البداوة . وهو على كل حال ينتمي الى واحدة من اعرق العشائر شبه البدوية في البلاد الاردنية . وفي نظافته ودقته ونظامه وما شاكل ذلك من الطباع كان صارما يضطرب لاقل انحراف يراد به عن هذه القواعد الخلقية .

فالآن تطوى هذه السجايا الكريمة عند من عرفه لتنشر فيما بعد على من قرأه . وفيما قد ترجم هو لكثيرين فقد ودع بترجمة لنفسه في خلاصة جاءت في كتابه « رسائل الى ولدي خالد » . والقارىء لهذه الرسالة يحس وكأن البدوي كان يشعر بدنو اجله . رحمه الله رحمة واسعة . لقد « عاش نظيفا ومات نظيفا » .

عمان ـ الاردن — محمد اديب العامري



عامر محمد بحيري

حصـــاد السـنين

بقلم عامر محمد بحيري

* * *

الحصـاد المبكـر

وقفت على حافة الموت في حياتي عـدة مرات .. اولهـا عندما غرقت « المعدية » بين أم درمـان والخرطوم ، في صبيحة يوم من ايام شهر يونيه عـام ١٩٢٠ .. وكنت دون الثامنة من العمر .. حتى رأيت المـاء يدخل الـى الطابق الاعلى منهـا ، والبحـارة السودانيون يتصايحون وهم يشدون الحبال ، ويديرون الآلات ، وقـد اصبح الطابق الاسفل بأجمعه غارقا في مياه الفيضان العالي عند ملتقى النيلين الابيض والازرق ..

ولكن الله سلم ...

وقبيل الظهر من يوم الرابع عشر من نوفمبر عـام ١٩٣٥ .. بعد اكثر من خمسة عشر عاما من ذلك التاريخ .. وجدتني أقف على حافة الموت مرة اخرى ..

كانت مظاهرة الطلاب تتدفق من ساحة الجامعة الى ميدان الجيزة ، الى هذه القنطرة الفسيحة على النيل .. حتى بلغت طلائعها مداخل جزيـرة الروضة .. وكانت المظاهرة مسلحة بما يمكن ان يحملـه الشباب يومئـذ ، تعبيرا عن شعورهم بالجهاد ، وفداء الاوطان ..

وفي هذه اللحظات ، تقدمت عربة بوكس .. نـزل منها فريق من الكونستبلات الانجليز ، ركعوا على ركبهم في الارض ، وصوبوا المسدسات الى صدور الشباب ، ثم اطلقوا النار !

وسقط بجانبي زملاء ، وتضرجت الارض بالدماء.. تصايحت السيدات في مركبة الترام التـي رايتهـا في مواجهتي .. واختلط الحابل بالنابل .. وهنالك احسست حقا أنني اقف على حافة الموت .. وتذكرت جمال الحياة، ورسالة الشعر ، ووالدي الذي منعني مـن الخروج في المظاهرات .. وغير ذلك من الاشياء الجميلة ، والمؤلمة .. وكأنما كان الغيب ينكشف امامي في تلك الساعة .. فرايت كيف انني سانجو بصعوبة من هذا المأزق .. حتى اسجله فيما بعد ، وحتى اتم ما بدأته من رسالة الشعر !

وكان الزميل الشهيد ، الذي سقط بجانبي شاعرا .. وكانت معرفتي به قوية ، فقـد كان يدرس الطب في مدينة ليون بفرنسا ، ولكنه آثر الرجوع الـى وطنه ، ودراسة الآداب .. لانه كان في الواقع شاعرا ممتازا .. وكان الامل في صعود نجمه في سماء الشعر كبيرا .. وقد رأيته قبل ذلك مرات قليلة في كلية الآداب ، حتى كانت المظاهرة .. وشاءت الظروف ان يعيش بعـد اصابتـه خمسة ايام .. قضاهـا في قصر العينـي ، والحصار مضروب حوله .. ولكنه لا يفتأ يبعث برسائل وطنية من سريره .. احداها الى رئيس وزراء انجلتـرا ، « روح الشر » .. والثانية الى زملائـه الشباب .. والثالثـة ، والرابعة ... وهكذا ..

وهتف الشهيد في آخر ايامه بحياة مصر ، ثم هتف يقول « يسقط الخونة » !

وفي الصباح حدث ما يدعو الـى الاسف .. فقد قرأت في الصحف ان احـد الزعماء السياسيين اشار في خطبته الى ان الشهيد يقصد بالخونة .. خصومه هـو من المنتمين للاحزاب الاخرى !

وتألمت لان يستغل حديث شاب وطني بريء يضحي بروحه قربانا علـى هـذه الصورة .. الشخصية .. الصغيرة !

رثيت الشاعر الشهيد عبـد الحكم الجراحي .. بالقصيدة التي الحقت بديوان « اليخت الذهبي » والتي اشار اليها الدكتور زكي مبارك في عرضه لذلـك الديوان .. ومطلعها :

قم يـا شهيد ، فمصر في الامهـا   نسيتك بـين عشية ، وصباح !

ان شهداء الامة العربية كثيرون اليوم ، ولكن هؤلاء هم الطلائع .. هم فجر النهضة ، واول نور اليقظة .. واذا لم ينبثق الفجر فلن يكون هناك نهار !

وكان عبد الحكم قد اتصل بالدكتور احمد زكي ابي شادي ، وعرض عليه شعره قبل عامين .. ونشر لـه في « ابولو » منه مقطوعات .. من اجملها قصيدته التـي نظمها في فرنسا بعنوان .. « الشيخ النائم في المشرب » !

وكان لعبد الحكم صديق في فرنسا يساكنه ، هـو الدكتور دريقيه .. الذي رثاه بقصيدة بليغة بعث بها الى

مصر .. فنشرت في وقتها .. وقمت بترجمتها شعرا عربيا .. كما ترجمها الدكتور ابو شادي نفسه نثرا بليغا ..

وكانت مجلة ابولو قد توقفت عن الصدور ، ورحل الدكتور ابو شادي الى الاسكندرية ، ليشرف على مطبعة التعاون ، ويصدر مجلة « **الامام** » .. ويقوم بوظيفته الحكومية وكيلا لكلية الطب بجامعة الاسكندرية .. ولكنه راى من الوفاء ان تحتفل « ابولو » بشاعر من اعضائها راح شهيد الوطن ..

وتفضل الدكتور ابو شادي ـ الذي قلت اني تلقيت منه رسائل خطية في مناسبات عدة ـ فبعث الي برسالة من الاسكندرية .. يذكر فيها ان الجمعية ستحتفل بذكرى الشاعر الشهيد في الاسكندرية ويطلب ان ابلغ المسؤولين في كلية الآداب حتى تشارك في الاحتفال ..

وقدمت الرسالة الى الاستاذ العميد الجليل الدكتور طه حسين .. وكان رئيسا لاتحاد الطلاب .. وكانت اللجنة الادبية مكونة من الزملاء الدكتور نور الدين طراف ، والدكتورة سهير القلماوي ، ومصطفى السعوني ، والدكتور محمد حسن الزيات .. وكلهم اليوم من كبار قادة الراي والفكر والتوجيه .. فوافقت اللجنة على الاشتراك في حقل التأبين ، واحتفظت بكتاب الدكتور ابي شادي بين وثائقها ، ثم انتدبتني لاكون مندوبا للكلية في هذا الحفل ..

وطلب الي الدكتور طه حسين ان اقرا عليه القصيدة التي سألقيها في هذه المناسبة ، فتوجهت الى داره في الزمالك .. وقرات عليه تلك القصيدة .. وقد كان عنوانها « الحصاد المبكر » !

وهذه ابيات منها :

هذا حصاد للنبوغ مبكر   ولدى النوابغ تقصر الآجال
البدر في ليل الحصاد مساهم   فالدمع نور ، والوجوم ظلال
البدر في ليل الحصاد حقيقة   لكنه بعد الصباح خيال
يا رمز الاستقلال في تفكيره   يهنيك ، روح الفن الاستقلال
يا ارغن الحب الصغير اسمع   أم قد تلاشى ذلك « الموال »
هي زهرة ما كان أقوى عطرها   زهر العشية عطره قتال
هي بسمة رسمت على ثغر الصبى   الطهر خاتمها ، والاستبسال
وبها تحدى الموت روح ناشيء   في الفن .. لاعاد ، ولا مفتال
لقي القذيفة في صميم شعوره   وكأنها وحي سرى ، وخيال
ما جنة الشهداء الا زهوة   يسقي رباها عارض هطال
اين العجوز على الاغاني نائما   يهفو عليه وحبك الجوال
ودعته ومن الحنان حبوته   راجي الوداع شبابك المختال

سافرت الى الاسكندرية ، واشتركت في الاحتفال ، الذي كان في الواقع « مهرجانا » للشعر الوطني تحدث فيه جمع حافل من كبار الشعراء ، كان في مقدمتهم الشاعر المرحوم الدكتور ابراهيم ناجي .. كما اشترك فيه الشاعران الكبيران ، الصديقان ، صالح جودت ، وحسن كامل الصيرفي .. وهما يمثلان الصف الاول من شعراء العروبة اليوم .. كما القى الدكتور ابو شادي نفسه ، كلمة دراسة ، انسانية ، ادبية ، رائعة .. شبه فيها شاعر مصر الشهيد بالشاعر روبرت بروك .. فقال:

« وما ذكرت الجراحي الا تمثل امامي الشاعر الانجليزي الشاب روبرت بروك ، الذي مات في حملة الدردنيل وبكى قومه نبوغه الشهيد . لقد عد بروك شهيد قومه ، ونحن نعد الجراحي شهيد مصر .. وكانت سن بروك اكبر بسنوات قليلة من سن الجراحي ، ولكنه كان مثل الجراحي رمزا لروح الشباب في وقته . كان بروك صورة الحياة الفكرية والنفسية الجديدة في انجلترا ابان الحرب العظمى ، وجاء الجراحي صورة النهضة الروحية والذهنية في مصر الحديثة . تميز بروك بشخصيته وبانسانيته ، وكذلك تميز فقيدنا الجراحي . وكلاهما جابه بشعره الحياة الواقعية كما عالج العاطفة الخالصة والمزج بين قوة التصور مع الفرحة الحية والسخرية اللاذعة الى جانب المزج بين قوة التفكير وبين قوة الخيال .. » ..

واشار الدكتور ابو شادي الى مرثية الدكتور دريفيه لعبد الحكم .. وعرض لها ترجمة بليغة من نثره هي هذه :

« فرض عليك الحلم سحره القاهر ، فانتشت سنوك العشرون بكل ما في الروح من آمال ، وابتسم المستقبل لفرعك اليانع ، الذي كانت سنابله الناضرة تنضج طي الخفاء ! ان املك في الحصيد كان ما يزال في فجره ، وقد استحال واأسفاه اليوم الى اسف فاجع . ولكنك بدلا من المستقبل الرائع الذي كان يعده لك الفن، آثرت الموت فكنت عظيما في اختيارك ! ان عروس الشعر الباكية لتعقد على ضريحك ازهار الرحمة واكاليل المجد ! فاذا كان قلبك المضطرم قد تحدى جلاديه وراض بدنك المتوثب وقدمه قربانا لتربة وطنك الحر ، فذلك لان حب الجمال يعرف كيف يكون انجيلا يهيىء الشاعر الموهوب لان يموت موت البطل » ..

وقد ذكرت انني ترجمت هذه القصيدة الفرنسية شعرا .. وقد نشرت الترجمة مع الاصل في كتاب اصدره يومئذ احد الشباب المجاهدين المتحمسين ، هو الاستاذ علي الغزالي الجبيلي .. بعنوان « بطولة الشباب » .. واذكر هنا هذه الترجمة الشعرية ، لا لمقارنتها بترجمة الدكتور ابي شادي ، فترجمته اصح وادق .. ولكن لتسجيلها في هذه الموضع الذي يناسبها ، ولارى فيها اليوم ترجمة دقيقة ايضا رغم صعوبة الترجمة ومعوقاتها من شعر الى شعر كما سبق ان قدمت .. وهذه هي :

لقد فرض الحلم احكامه   عليك قيودا ثقالا جساما
. . . .   من سنك النضر عشرون عاما
هناك تبسم مستقبل   سنابله اينعت في الخفاء
فواأسفا .. لم تزل عشبة   لها في الحصاد عظيم الرجاء
ولكنها اليوم قد حولت   الى حسرة من مرير الاسف
وفن كريم تجافيته   وفضلت عنه كريم التلف


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان تصنيف معجم مبتكر كهذا لا يخلو من مآخذ ، وخاصة اذا اجتمع الى ذلك وفاة مؤلفه قبل ان يتم تأليفه ، فكان هذا السبب الرئيسي لاكثر هذه المآخذ . وقد اجمع النقاد والباحثون المعاصرون له والذين آتوا بعده على ان معظم هذه المآخذ مرده التصحيف ، واشار الى ذلك ابو العباس ثعلب (٨١٥ – ٩٠٤ م) بقوله : « انما وقع الغلط في كتاب « العين » لان الخليل رسمه ولم يحشه » وعلل الاستاذ احمد في كتابه « ضحى الاسلام » بأن الكتابة في ذلك العصر لم تكن تنقط ، وحروف اللغة العربية متقاربة في الشكل ، فبين الغاء في الوسط والغين تقارب ، وكذلك بين التاء والنون ، فأوقع هذه اللغة ومعاجمها في كثير من اللبس .

اخطاء صرفية اشتقاقية

وقد وقع الخليل ايضا في اخطاء صرفية اشتقاقية ليست ذات بال كذكر لفظ مزيد في مادة اصلية ، او مادة ثلاثية في مادة رباعية ، كما انه اهمل ابنية مستعملة في اللغة باعتبار انه لم يسمع عنها شيئا ، وقد تأثرت بهذه الاخطاء بعض المعاجم التي وضعت بعده كمعجم « البارع » للقالي و « التهذيب » للازهري وغيرهما ، غير اننا لا نلوم الخليل على هذه الاخطاء التي وقع فيها ، فهو اول من جمع في اللغة معجما ، فضلا عن ان التحقيق العلمي في عهده لم يكن له اثر .

أهمية « العين »

وقد تناول عدد من العرب القدامى والمحدثين وبعض المستشرقين معجم « العين » بالدراسة ، ووصف جلال الدين السيوطي (١٤٤٥ – ١٥٠٥ م) القواميس منذ صدور « العين » حتى «القاموس المحيط» للفيروز ابادي، واشار اشارة مختصرة الى كل قاموس الا قاموس « العين » فانه عني بوضعه وشرحه عناية كبيرة ، وعدد الاخطاء التي ارتكبها مؤلفه وخاصة الاخطاء المتعلقة بالتصحيف ، وقد نشر المستشرق « برونلش » مقالا مستفيضا في المجلد الثاني من مجلة « اسلاميات » عن كتاب « العين » تناول فيه حياة الخليل وثقافته وقضية النحو والعروض والموسيقى ، مبديا تقديره لما اشتملت عليه مقدمة القاموس من آراء لغوية ونحوية . ونشر المستشرق الالماني كرنكو في الملحق المئوي للمجلة الآسيوية الملكية عام ١٩٢٤ مقالا عن القواميس العربية القديمة وفي مقدمتها قاموس « العين » عالج فيه حياة مؤلفه وترتيب كلامه ومساوئه وما تسرب اليه من اقوال المتأخرين ومزاياه في التفسير ثم اتى على وصف مختصره . ونشر الاستاذ يوسف العش اربع مقالات قيمة بعنوان : « اولية تدوين المعاجم وتاريخ كتاب « العين » المروي عن الخليل بن احمد » بين فيها اقوال العلماء في كتاب « العين » ووصف منهج الخليل في التأليف واثره في التاليف على حروف المعجم ، وعالج معالجة عامة مناهج العرب في التأليف ، ونشر العلامة انستاس الكرملي في بغداد عام ١٩١٤ جزءا من كتاب « العين » بلغ عدد صفحاته ١٤٤ صفحة .

مختصر « العين »

ونظرا لاهمية هذا الكتاب وثروته اللغوية التي لا ينضب لها معين ، اختصره اثنان اولهما : ابو الحسن بن القاسم السنجابي ، واشار الى ذلك علي الباخرزي مشيدا بمختصره : « هو صاحب كتاب « العين » ومحله من الادب محل العين من الانسان ، ومحل الانسان من العين ، وقد سهل طريق اللغة على طالبيها ، وادنى قطوفها من متناوليها باختصاره كتاب « العين » ولا تكاد ترى حجور المتادبين منه خالية » . اما المختصر الثاني وهو أشهرهما فقد اختصره ابو بكر محمد بن حسن الزبيدي (٩٢٦ – ٩٨٩ م) واشار الى الاسباب التي دعته الى اختصار « العين » ثم قال : « امر امير الحكم المستنصر بالله » بأن « تؤخذ عيونه ، ويلخص لفظه ، ويحذف حشوه ، لتقرب بذلك فائدته ، ويسهل لفظه » .

غنى النفس

كان الخليل بن احمد صاحب هذا المعجم شديد الورع ، وعاش زاهدا فقيرا حتى انه كان يقيم في خص من اخصاص البصرة . وذكروا ان سليمان بن علي بعث اليه برسول من الاهواز (في ايران) لتعليم ابنه ، فقدم الخليل الى رسول سليمان خبزا يابسا وقال له : « كل فما عندي غيره ، وما دمت أجده فلا حاجة الى سليمان » فقال الرسول : فما ابلغه فقال :

أبلغ سليمان اني عنه في سعة ... وفي غنى غير انــي لست ذا مال
شحا بنفسي انــي لا أرى أحــدا ... يموت هزلا ولا يبقى على حال
والفقر في النفس لا في المال تعرفه ... ومثل ذلك الغنى في النفس لا المال

مؤلفات الخليل

ويقم معجم « العين » في نحو ٢٥٠٠ صفحة ولم يصل الينا كله ، وللخليل كتب أخرى هي « معاني الحروف » و « جملة آلات العرب » و « تفسير حروف اللغة » و « كتاب العروض » و « النفط والشكل » وقد الف كتابا في الموسيقى على غير معرفة بلغة أجنبية اسماه « النغم » .

موت الخليل

ومن دلائل توقد ذهنه وفنون ابتكاره أنه زاد في الشطرنج قطعة سماها جملا استعملها الناس زمنا ، واخترع نوعا من الحساب تمضي به الجارية الى البائع فلا يمكنه ان يظلمها ، فدخل المسجد وهو يعمل فكره ، فاصطدم بسارية صدمة شديدة ارتج منها دماغه ، وكان ذلك سبب وفاته في البصرة سنة (١٧٥ هـ) عن خمس وسبعين سنة .

قال نضر بن شميل المازني احد تلامذة الخليل ، « ما راى الراؤون مثل الخليل ولا راى الخليل مثل نفسه » .

قسطنطين تيودوري



الدكتور محمد رجب البيومي

ابن حزم يتحدث عن الحب

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

ذهب المستشرق الهولندي الاستاذ رينهارت دوزي وشايعه الاستاذ ماسينيون ـ وهو من اعمق الدارسين للحب في الاسلام صوفيا وعذريا الى ان هذا النوع من الحب الطاهر العف ذو اصول غربية عند العرب والمسلمين أخذا يتلمسانها تلمسا دون اهتداء ، والامر في ذلك اوضح من ان يشار اليه ، واذا كان كتاب طوق الحمامة لابن حزم قد دفع دوزي الى المجاهرة بهذا الرأي البعيد ، فلنبدأ بمناقشة هذه القضية قبل ان ناخذ في تحليل هذا الكتاب النفيس .

ان العفاف خلق اسلامي أصيل ، ولو كانت مسالة العفة في الاسلام من الامور المتشابهة التي تلتبس فيها الآراء وتحتاج الى مجهر دقيق يبرز ما استتر من النصوص والاحداث لعذرنا دوزي وماسينيون فيما ذهبا اليه من التفسير ! ولو كان المستشرقان الكبيران ممن لـم يتعمقوا هذه النصوص الصريحة ولم يتبينوا الوقائع المشاهدة لقلنا عنهما لقد فقدا الدليل واعوزهما البرهان . ولكن الحب العذري في الاسلام برجاله واحداثه واشعاره اوضح من ان يدل عليه واشهر من ان يجهله مبتدىء ناشىء يتلقى الدراسة الاولى في الثقافة الاسلامية !

بل ان كتاب طوق الحمامة الذي جعلهما يصدران هذا الحكم الجائر ليضم فصلين طويلين عن قبح المعصية وفضل العفة في الاسلام، وبهما من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ما يكفي لايضاح رأي الاسلام في التمسك بالفضيلة والشرف والعفاف ! فلو ان الاستاذ دوزي ـ على سبيل الجدل ـ لم يقرأ شيئا عن تعاليم الاسلام وقرا هذين الفصلين وحدهما لكان جديرا ان يبطل رايه فيما ادعاه ! فما ظنك بماسينيون وابحاثه عن التصوف الاسلامي والحب الالهي ذائعة مستفيضة !! افنفترض بعد ذلك كله انهما حكما على كتاب ابن حزم دون ان يقرآه ! وان الاستاذ ماسينيون تكلم عن الحب الالهي في الاسلام دون ان يعرف عن أصحابه شيئا ! ذلك أهون بكثير من ان نصمهما بسواه .

لئن كان الحب العذري نبع في الجاهلية لدى المرقش الاكبر وأضرابه ، ممن هدتهم الفطرة العربية الى الطهارة النبيلة ، والترف الاثير فان ما ولى ذلك من دعوة الاسلام المتكررة الى العفاف والصون ومحاسبة النفس ورقابة السماء ، قد أكدت هذه المعاني وجعلت لها أناسا وقبائل وبيوتا تنسب اليها ، وتشتهر بها ، واذا كان الاسلام قد دعا الى الجهاد بقوة ، فان الجهاد الاكبر جهاد النفس ومصارعة الاهواء كما يقول الرسول الكريم .

وبهذه التعاليم المثالية أصبح العفاف مبدأ اسلاميا قوي الدعائم وصارت الطهارة والمروءة والترفع من سمات هـذا الدين العفيف ، وتحدث التاريخ لدينا عن جماعة من العشاق تتاجج اشواقهم في صدورهم ثم لا يهمون بشيء رعاية للشرف وامتثـالا لقواعد الاسلام ، كـان عبد الرحمن بن عمار المعروف بالقس عابدا متنسكا وقد اوقعه حظه في سلامة المغنية فبادلته حبا بحب حتى اشتهرت به فقيل عنهـا سلامة القس ، فقالت له انا أحبك فقال لها وانا واللـه كذلك ! قالت فما يمنعك فوالله ان الموضع لخال ، فقال في اشفاق لقد تذكرت قول الله عز وجل الأخلاق يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وأنـا أكـره ان تنقلب خلتنا عداوة يوم الحساب .

وبرح الوجد بعروة بن حزام فقادته أشواقه الى منزل صاحبته ، ونزل ضيفا على زوجها بالشام ، فاكرمه واحسن وفادته ثم خرج وتركه مع عفراء يتحدثان فلما خلوا تشاكيا وطالت الشكوى وهو يبكي أحـر بكاء ثم أتته بشراب وسألته ان يشربه فقال والله ما دخل جوفي حرام قط ، ولا ارتكبته منذ كنت ، ولو استحللت حراما لكنت قد استحللته منك فانت حظي من الدنيا ! ولعل من البداهة ان نشير الـى حديث رسول الله سبعة يظلهم الله ، وفيهم ورجل دعته امراة ذات منصب وجمال الى نفسها فقال اني أخاف الله .

وقد كنا على ان نفيض في امثال عبد الرحمن القس ، وعروة بـن حزام وقيس وعروة بن أذينة وتوبة ابن الحصير وجميل بن معمر وكثير عزة وسواهم من ذوي الحب العفيف ، لكن كتب الادب تزدحم بذلـك مفرقا في الاغاني ومتصلا في كتاب ذم الهوى للامام ابن الجوزي بحيث أصبح الحب العذري في الاسلام موضوعا كبيرا لـه أبطاله ووقائعـه واشعاره ، ولن يجرؤ احد على القول بتاثر العذريين في دولة بني أمية بالحب الافلاطوني ! اذ لم تكن اذ ذاك صلة مـا بين العرب واليونان !! فالحب العذري لا محالة مرتكز على مبادىء الاسلام .

والحق ان اتجاه طوق الحمامة الفريد ! الى تحليل الحب والسمو به على نحو طريف لم يعهد قبله في الادب الاوربي قد دفع دوزي الـى رأيه ، ليجعل ابن حزم متأثرا بالمسيحية لا بالاسلام فيما يصدر عنـه من قيم وآراء ، ولكن ذلك شيء والحق شيء آخـر ، يقول الاستـاذ الدكتور زكي مبارك في النثر الفني ج٢ ص ١٦٦ ط٢ :

« لقد طبع كتاب طوق الحمامة في ليـدن سنة ١٩١٤ بعنايـة المأسوف عليه الاستاذ بتروف وقد احدث ذلك رجة عنيفة في اوربـا ، وتناولته المجلات الادبية بالنقد والتحليل وكان موجب تلك الضجة انه لم يثبت ان كتابا الف في فن الحب قبل ذلـك الكتاب لا في اللغات القديمة ، ولا في اللغات الحديثة لان اوربا في القرن العاشر في الميـلاد كانت معارفها قليلة جدا في الشؤون الوجدانية ، فكان مـن المستطرف حقا ان يكشف الباحثون انه كان في ذلك العصر كاتب عربـي يتناول حديث الحب والعشق والهيام في تفصيل شائق جذاب هو آية الآيات في فهم أسرار الاهواء والشهوات والقلوب » .

لم تكن للمرأة الاوربية في عصر ابن حزم الى قرن بعـده منزلـة رفيعة تدعو الى التسابق في استرضائها ، فالمجتمـع الاوربي اذ ذاك لا يراها احدى عناصره المؤثرة ولا يجد في محاسنها الخالبة ما يلهـم احاسيس كتابه ويذكي مشاعر شعرائه فيقدمون لهـا تراتيل الولاء

والحب في نغم ضارع لهيف !! نعم قد تحدث الادب اليوناني قديما عن الحب واشاد به افلاطون ، وبرزت قصص الاغريق مضمخة بعبير المرأة احيانا ... ولكن صدى الاغريق قد انقطع عن اوروبا في العصور الوسطى حتى هبت نسمات العرب من المشرق تحمل أنباء الفروسية العربية ومن تقاليدها احترام المرأة وتمجيد الحب الطاهر ، والارتفاع بالغرائز الى أوج الشرف والفضيلة والعفاف ، ثم انتقل التأثير الاندلسي من كتابة ابن حزم العاطفية فوجه العيون الى طراز جديد من العواطف ، ودعا الكتاب الى ممارسة فن جديد من الكتابة . وكان « اندريه لوشابلان » في منتصف القرن الثاني عشر للميلاد اول من كتب في ذلك ، فاصدر كتابه « فن الحب العف » وقد تعرض له الناقد الفاضل الدكتور محمد غنيمي هلال بالتحليل فقال عنه في كتابه « الادب المقارن » ص ٢٠٥ ط ٢ :

« وفيه يذكر ادراكا للحب لم يكن للادب الاوربي به عهد حتى ذلك القرن . وفيه ترتفع المرأة الى مكانة لم تحظ بها من قبل في أوربا ويخضع الفارس لها كما يخضع للسيد صاحب الاقطاع ، فالفارس يضحي في سبيل حبها ، ويبكي في يسر حين يهدده الخطر في حبه ويعد ضعفه امامها نبلا وسموا لا استكانة فيه ولا شرر يسببه » الى ان يقول الدكتور الفاضل ص ٢٠٨ :

والقرائن التاريخية تحمل على الاعتقاد ان هذا الادراك للحب على نحو فريد في الآداب الاوربية انما ظهر في تلك الفترة بتأثير حب الفروسية العربي بعد ان أشرب أهله روح الاسلام فعبروا في شعرهم العربي عن عاطفتهم العفة الخالصة ، ومن القواعد التي يذكرها شابلان في كتابه السابق ان المحب لا يهيم بسوى محبوبة واحدة ، وان المحب يظهر عليه بهت الخشوع امام حبيبته ويضطرب قلبه بمحضرها ولا يقصر في أي مطلب تريده منه حبيبته ولو تحمل في ذلك المشاق وخيالها دائما نصب عينيه ان غابت عنه . وعليه ان يكتم حبه لان اذاعة الحب سبب من اسباب القضاء عليه ، ثم عليه ان يكون كريما غير بخيل اذ الكرم صفة جوهرية لعاطفة الحب الصادق ، وهذه كلها كما نعلم يفيض بها الشعر العربي وينص عليها كل من تعرضوا لدراسة هذه العاطفة من القدماء ومنهم محمد بن داود وابن حزم .

واذا كان لطوق الحمامة وما نحا نحوه من كتب العرب ، هذا التأثير النفاذ فيما اتصل به من الآداب ، فان الحديث عنه هنا محتوم مفروض .

لم يكن ابن حزم بدعا بين الفقهاء في مقاساة الحب ، ولا بين الكتاب في الحديث عنه ، والتأليف فيه ، فنحن نعلم عن كثير من الفقهاء والمحدثين ضروبا من الحب العذري الصادق ، وقد يكون هذا مستغربا لدى من يظنون التفقه في الدين والتمسك في العبادة مما يمنع خفوق القلب بالهوى ، والتهاب الجوانح بالشوق ! وهذا خطأ واضح . لان العواطف الانسانية لا تكبت بدراسة الفقه والتفسير والحديث ! ولكن هذه الدراسة فقط مما يساعد على اعلاء الغرائز وسمو العواطف ، فالفقيه العاشق اقرب الى التصون غالبا من الاديب العاشق لان له من فقهه الديني واحساسه بمكانته في المجتمع ما يسمو به عن الريبة والظن ، هذا الى ما يفرسه الاسلام لدى الصادقين من رجاله من طموح الى الكمال وارتفاع عن النزوات ، فاذا وقع احدهم في غمرة الحب فان له من مبادئه ما يهديه الى التصون والكرامة والعفاف وقد يجد العاشق المتحلل منفذا غير كريم الى ارتوائه فتهدأ عاطفته ، ويسلو وجده ، اما الفقيه المتمسك فلن يقترف ما يغضب الله فيظل عفيفا طاهرا على وجده المضطرم واحساسه المشبوب ! وقد تلح به الاشجان حتى تصل به الى الوله السقيم ! وهذا ما كان لذوي الصبابة من الفقهاء .

لا عجب اذن ان يكثر الحب العذري في تاريخ الفقهاء ، وهم قوم ذوو تصون وعفاف بل ان العجب الا يكون مع ما يحملون من قلوب خفاقة وعواطف رقيقة ، ووجدان مشبوب ، اننا نجد جماعة من الفقهاء في الصدر الاول من الاسلام يشتهرون بالصبابة ويترنمون بالشعر حتى اشتهروا بالخفة والظرافة وضرب بهم المثل في ذلك فقيل « اظرف من فقيه » هذا عروة بن اذينة الفقيه المحدث وشيخ مالك بن انس يقول :

ان التي زعمت فؤادك ملها　　　خلقت هواك كما خلقت هوى لها
بيضاء باكرها النعيم فصاغها　　　بلباقة فادقها واجلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبي　　　ما كان اكثرها لنا واقلها
فدنا وقال لعلها معذورة　　　في بعض رغبتها لعلها

ويقول في قصيد مؤثر :

اذا وجدت اوار الحب في كبدي　　　عمدت نحو سقاء الماء ابترد
هبني بردت ببرد الماء ظاهره　　　فمن لنار على الاحشاء تتقد

وهذا عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود أحد الذين انتهى اليهم العلم بالمدينة على عهد عمر بن عبد العزيز وكان امير المؤمنين يقول فيه لمجلس ابن عبد الله احب الي من الدنيا وما فيها ! هذا عبيد الله يقول :

كتمت الهوى حتى أضربك الكتم　　　ولامك أقوام ولومهم ظلم
وزادك اغراء بها طول بخلها　　　عليك وابلى لحم اعظمك الهم
الا من لنفس لا تموت فينقضي　　　شقاها ولا تحيا حياة لها طعم
تجنبت هجران الحبيب تأثما　　　الا ان هجران الحبيب هو الاثم
فذق هجرها قد كنت تزعم انه　　　رشاد الا ربما كذب الزعم

وهذا عبد الرحمن القس ! وابياته اشهر من ان تذكر وهذا سواه وسواه في فجر الاسلام وهم كثير ! على ان اشهر من كتب من الفقهاء مؤلفا قائما بذاته في الحب هو محمد بن داود الظاهري صاحب الزهرة وابن حزم صاحب الطوق وقد احتذاهما بعد ذلك مؤلفون ! والثابت المجزوم به ان ابن حزم قد قرأ كتاب الزهرة وتأثر به فقد أشار اليه في الطوق ! وكان الزهرة من الذيوع في الاندلس بحيث عارضه ابو عمر احمد بن فرج الجياني بكتاب سماه الحدائق ـ شاع ولم يصل ـ الفه للحكم المستنصر بالله وقال عنه ابن دحية في المطرب ص٤ ط سنة٥٤ :

« وعارض به كتاب الزهرة لابي بكر بن محمد بن داود بن علي الاصبهاني الا ان ابا بكر انما ذكر مائة باب في كل باب بيت ، وابو عمر اورد مائتي باب في كل باب بيت ، وليس منها باب تكرر اسمه لابي بكر ولم يورد فيه لغير اندلسي شيئا » هذا الى كتابات اخوان الصفا في رسائلهم عن العشق ، وابي بكر السراج صاحب مصارع العشاق والخرائطي صاحب اعتلال القلوب وكلهم قد سبق ابن حزم ! ولكن الرائد الاول هو محمد بن داود ، وتلاقي كتاب الزهرة مع كتاب الطوق في اكثر من وجه يلفتنا الى الحديث عنه في مجالي المقارنة والتأثير !

كانت ظروف ابن داود غير ظروف ابن حزم فالاول حيي رقيق خجول تزعجه الهمسة وتضايقه الاشارة واللفتة نشأ في أسرة فقيرة شريفة فابوه امام المذهب الظاهري ببغداد كان يأكل من كسب يده على ندرة وكفاف ، وقد عرف ذلك بعض مقربيه فاهداه بدرة ثمينة من الدنانير فرفضها في اباء ! وولده منذ صغره ضعيف رقيق يذهب الى الكتاب مع الصبية فان تندر عليه زميل بكلمة اوجعته واسالت دمعه وجاء الى والده شاكيا ! ثم مضت به السنون فمات أبوه وتبوأ كرسيه في رئاسة المذهب الظاهري بعده ، وما زال على رقة قلبه ورهافة حسه ، وانفعال وجدانه وثورة عاطفته حتى ابتلاه القدر بهوى شاذ عنيف !! لم يكن هوى طبيعيا بين فتاة وفتى ولكنه هوى لزميل كان يدرس معه في المسجد صادقه اولا ثم عظم شعوره به وانسه بلقائه فارتفعت الصداقة الى حب عنيف ذاع وشاع بين البعيد والقريب وكان مجال التندر والفكاهة من قوم ، والرحمة والاشفاق من آخرين ! وقد تعرض ابن داود لمواطف الهجر والغضب والوشاية والرقابة والعذل فتمرس باحاسيس عنيفة الهمته كثيرا من المقطوعات الشعرية وامدته

بعواطف وجدانية سطرها في كتاب الزهرة فكان تجربة ذاتيـــة لعاشق مسكين !!

اما ابن حزم فيشترك مع ابن داود في انـه احد ائمـــة المذهب الظاهري مثله واقوى المدافعين عنه بلسان صارم ومنطق قوي وعارضة ذات صيال ومجالدة ، ولكنه يختلف عن صاحبه في كثير ، لقد نشأ في بيئة مترفة منعمة فابوه وزير خطير تمتلــىء قصوره بمغريات الانس ومفاتنه ، وضروب النعيم وافانينه من مأكل ومشرب وملبس ومنظـر وملمس وشم ومتنزه ! هذاالى الجاه المؤثل والكلمة المسموعة والصيت المدوي ! ولم يذهب الى الكتاب مع الصبية كما كان ابن داود بل تلقى الدراسة الاولى على المثقفات من جواري القصر فعلمنه الكتابة والحساب وحفظ على أيديهن القرآن والحديث ورأى اشباههن الناعمات المتنعمات يرفلن في قصر أبيه بين الزخارف والرفارف والحرير والديباج والفـل والريحان ! في مجالس للانس واللهو والطرب ترن بالشعر وتصدح بالاوتار والعيدان !

فخبر الحسان خبرة وافية في صباه واحب وعشق وقاطع وواصل! مع انه لم يرفع ذيله على حرام كما اقسم على ذلك اغلظ الايمان ثـم سطر كتاب الطوق فأودعه ذكرياته وتجرباته ، وقدم لنـــا اثرا عاطفيا يقرأ على مدى الاجيال في تقدير واعجاب .

تحدث ابن داود في الزهرة عن الحب فالم باقوال الفلاسفة فيه ، وروى عن جالينوس وبطليموس ووصف سبيل الهوى الى القلب ومسلكه الى النفس ، وقدر اثر السماع ، وتنقـل في خطوات الحب مـن استحسان الى مودة الى محبة الى خلة الى عشق الى تيتم الى تدلـه مستشهدا بالشعر له ولغيره من كبار المدنفين ، وله تعليقات طريفـة عند كل مقطوعة وملاحظات نفسية بارعة لا تخلو من طرافة وابداع .

فالحبيب اذا استيقن ود حبيبه ، استغنى عن التعرف وارتفعت حاجته الى التالف فحينئذ يقع الغضب من غير ذنب والاعراض من غير وجد لسكون القلب الواثق واستظهار المعشوق على العاشق » ص ٤٥ والمحب يؤتى من مأمنه ، فالتصنع الشديد يخرج عن العادة فيوقـع التهمة بصاحبه ص ٣٢٢ .

اما حديثه عن الحجاب والرقيب والعذول والواشي وصنـوف الهجر فنمط من الملاحظة والدقة ، وله خطرات شفافة تتجلى في مثل قولـه :

ان المعتذر لا ينفك عن احدى حالين اما ان يكون صادقا او كاذبا فان كان صادقا فعذره مقبول ، وان كان كاذبا فانه لم يتجشم مضاضة الكذب في نفسه الا لنفاسة صاحبه في صدره ومن كان بهذه الحال قبل عذره بل وجب شكره ! ص ٥٧ .

ويروي هذه الابيات عن لحظات العيون في حضرة الرقيب :

اذا نحن خفنا الكاشحين فلم نطق ... كلامـــا تكلمنـــا باعيننا سـرا
فنقضي ولم يعلم بنا كـــل حاجة ... ولم تظهر الشكوى ولم تهتك السترا
ولو قذفت أحشاونا مـــا تضمنت ... من الوجد والبلوى اذن قذفت جمرا

ثم يعلق عليها بهذا القول البديع « صاحب هـذا الشعر اليائس مغتر بالزمان ، جاهل بصروف الايام ، يتبرم بالرقيب مـع مشاهدة الحبيب ، وهو لا يعلم ان هذه الحال تتقاصر عنها الآمال ، وتتقطـع دونها الآجال ، ولكن من لم ينكبه الفراق ولا الهجر ولم يتعرض للخيانة والغدر حسب ان الرقيب هو منتهى كيد الدهر وظن انه امتحن بما لا يقوم له الصبر » ص ٩٢ .

ويلاقي من بلاء الاخوان وكارثات النميمة والوشاية مـا يوقعه في اليأس حتى يضطر الى التمسك بالمنافقين ! وهذا امر يستغربه من لم يقرأ كلام ابن داود ، ولكنه يلمس وجهة نظـره سافرة واضحة حين يسمعه يقول :

واعلم ادام الله تأييدك ان المرتضين من الاخوان معدومون في هذا الزمان وانما بقي قوم ينتصفون ولا ينصفون ، ان بسطتهم لم يهابوك ، وان اجتنبتهم اغتابوك وما داموا لك راجين او خائفين فهم لك منقطعون فاذا زايلوا هاتين الحالتين لم يرعوا لك اخاء ، ولم يعتقدوا لك وفاء ، فاذا ظفرت بمنافق فتمسك به فانه على كل حال خير من غيره لانه يظهر لك ما تسر به ، وان كان يضمر خلافه بقلبه » ص ٢ .

وقد يشتط كثيرا في محاسبة غيره كما نقد المجنون في قوله :

يلـوك فيهـــا اللائمون نصاحـة ... فليت الهـــوى باللائمين مكانيـــا
لو ان الهوى عن حب ليلى اطاعني ... أطعت ولكن الهوى قد عصانيـــا

حيث يرى ابن داود ان « هذا الكلام لا يكون الا عن حال ضعيفة او بعقب ضجرة شديدة لان صاحبه لم يرض بالتبرم من هواه حتـى ضم الى ذلك تمني انصراف الحال الى سواه » ولست مع الناقـد في رأيه ، لان كل انسان يتمنى لنفسه السلامة ! وهو في اعماقه لـو تبين نفسه تبينا صادقا لعرف ذلك منها ! اما انـــه يتمنى انصراف الهوى للآئمين فاحساس فطري صادق يغلب على كل انسان يرى مجادله يمنفه دون ان يستشعر احساسه ولن يقنعه بيان ما مهما اكدته الحجج فلم يبق الا ان يذوق ليحس ويستشعر !!

مهما يكن من شيء لقد كان كتاب الزهرة اول مصنف بقي بايدينا في موضوعه ، والفرق بينه وبين طوق الحمامة فرق مـــا بين المبتدىء والمعقب ، فاذا كان قانون التطور والارتقاء يرى في الزهرة غرسا صغيرا في تربة جديدة ، اذ ان مؤلفه نقل عن نفسه وعن غيره وجمع من هنـــا وهناك ، وقد تعوزه الوحدة والاطراد وشمول الملاحظة فان هذا القانون نفسه يرى في كتاب الطوق ثمرة يانعة آتت اكلها بتوالي الزمن على يـد قاطف ماهر أحسن السقي ووالى العناية حتى تهدلت الافنان ، وجـاء كتابه صورة مكتملة لاحساس قوي نفاذ !!

كان ابن حزم آية الآيات بين اقرانه وانداده ، فالرجل عالم ضليع متمرس بالجدل متقدم في المناظرة والحجاج ، ينافح عـــن مذهب قـل انصاره وكثر مناوئوه ، ويتعرض لأئمة عظـــام متقدمين سار لهـــم في التاريخ ذكر وفي النفوس مهابة واجلال ، فيكر على ابي حنيفة والشافعي ومالك والاشعري وائمة الاعتزال بمـــا يجبـه آراءهم وينقض حججهم معتمدا ببرهانه النافذ ودليله المكين ، ولعله لم يتجه الى تأييد مذهب الظاهرية الا حين رأى بعض معاصريه من الفقهاء ينزلون على آراء الملوك والرؤساء فيؤولون النصوص ، ويتعسفون الدليل ، وفي ذلـك فساد للشريعة ، ووهن في الخلق فربأ بنفسه ان يسكت عن هؤلاء المفرضين ، وقد ملكوا الدنيا بالاندلس بمذهب مالـــك ، وقسموا الاموال بابـن القاسم ! وانبرى لمنازلة أئمة المذاهب المختلفة جميعا ـ سوى مذهبـه الظاهري ـ من احياء واموات !!

ولسنا نزعم ان الحق مع ابن حزم في جميع مـــا حاور وافتى ، فائمة الاسلام معروفون بحسن الاستدلال ونزاهة الراي ، وما اصدروا احكامهم دون تعقل واستقراء ولكننا نوضح انفة ابن حزم وحميته حين اعتنق مذهبا رأى فيه الصواب ، فابطل القياس وتمسك بالنص .

هذا الامام الذي كتب اربعمائة مجلد في الفقه والتفسير والملـل والنحل والاخلاق والتاريخ ، ولم يفقه في كثرة التاليف من رجال الاسلام غير ابن جرير الطبري رحمه الله لم ير مانعا ان يسجل تجاربه الذاتية في دنيا الصبابة ، غير عابىء بافتراءات خصومه على كثرتهم الكاثـرة ! هؤلاء الذين ألبوا الرؤساء عليه فكان يرحل من بلد الى بلـــد فرارا بنفسه حتى احرقت مؤلفاته بمسمع منه فما وهن او استكان بل نظـم أبياته السائرة :

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس اذ كان في صدري

هذا الداعية المنافح الالد قد اصدر « طوق الحمامة » ليطلـع الناس على خفقات الافئدة ، ورجفات الضلوع فكان نسقا جميلا مــن القول ، كشف الستائر عن نبضات تدق بها القلوب ! وجذوات تشتعل بها الدماء .

الفيوم ـ دار المعلمات

محمد رجب البيومي

سور دمشق الاثري

جردت مـن غمـد المروءة صارما ... لتصون اعراضا وتدفع ظالمـا
لـم تثلـم الايـام في كراتهـا ... لك مضربا بيـد المكارم قائمـا
قصرت حيالـك أذرع لمطامع ... مدت ، وأعييت المغير الغاشمـا
كم طامح بالفتح علـل نفسه ... حتى أتـى قطـع الانامل نادما
وارتد عجـزا ممسكـا بحشاشة ... مسك الشحيح جوى وأدبر ساهما
ورأى الفرار مـع السلامة مغنما ... لمـا انثنى حـذر المنية سالمـا
أوليس من سلمت يداه من الردى ... مع خيبة الحرمان كان الغانمـا

طالت ذراك وحلقت مختالـة ... كالنسر حلـق باختيال حالمـا
فكأنها أنفت مجـاورة الثرى ... فسمت بأبصار تجـوب معالمـا
وترفعت مختالة مـن تيههـا ... تبغي لهـا بين السحائب عالمـا
وامتد ركنـك كالمنارة عاليـا ... يختال من صلف ويومـىء باسما
وعليه مـن غبر الحوادث مئزر ... ضافي المهابـة يستثير عزائمـا
ثوب عليه مـن الزمان جلالـه ... وغدا مـن الايام اشمط قاتمـا
نسجته ايدي الحادثات وطرزت ... بالفتح أذيـالا لـه وعمائمـا
وتزيـده الايـام في احداثهـا ... شانا وتكسبـه عـلا ومكارمـا

سير الجدود صحيفـة مرقومـة ... بعظائم عصفت تثيـر عظائمـا
سطرت باسياف وكـان مدادها ... مهجا تسيل على الثرى وجماجما
في كـل ركـن مـن ذراك لغابر ... راو ، علـى نصب يحدث قائمـا
وارى من الماضي البعيد خيالـه ... خلف الحجارة كالحجارة جاثمـا
لبس الظـلام غلالـة وعمامـة ... وأشاح من وقر الحوادث حالمـا
وارى (امية) بالحديـد تواثبوا ... للفتح في حلـل الجهاد ضراغمـا
يتسارعون الـى الردى بضراوة ... كالسيل يقـذف بالمكاره راجمـا
وبكـل ركـن رايـة لعظيمـة ... نشرت ، وكنت بها الحفي العاصما

اقبلت نحـوك ساعيـا يهتاجني ... شوق يعربد في الاضالـع عارمـا
وأتيت استجلي روائـع حكمـة ... بفؤاد مشتاق يصفـق هائمـا
طالعت كـل عظيمة عـن غابـر ... بلغ السهى شاوا وحلـق واهمـا
وقرأت ملحمة الجـدود فشاقني ... ماض تالـق كالأهلـة باسمـا
ماض أطل حيال تربـك سافـرا ... فاسال دمعا واستثار سخائمـا
فحسبت من وهم تملك خاطري ... صوت الريـاح بمسمعي زمازمـا
ومضيت أروي عنك كـل عجيبة ... كنت اللسان لهـا وكنت الناظما
سير تهيـج علـى الزمان لواعجا ... وتثير اشجانـا وتوقـظ نائمـا

دمشق

عدنان مردم بك



البدوي الملثم

البدوي الملثم اديب من الرعيل الاول

بقلم عيسى الناعوري

* * *

مع انبثاق فجر يوم الخميس الثالث والعشرين من ايلول ١٩٧١ ، وقبل ان يحين موعد النهوض من النوم ، طارت عن الارض روح أديب ، ليستمر في رقدة ابدية متواصلة، لا تنفتح بعدها عيناه على نور الشمس من جديد . وكان انطفاؤه مفاجأة لم يسبقها انذار من مرض ولا سواه .

كذلك وضعت الاقدار نهاية حياة الاديب الاردني المعروف يعقوب العودات ، الذي اشتهر باسم « البدوي الملثم » حتى غلب اسمه المستعار هذا على اسمه الحقيقي، فما عرف الا به منذ ان صدر اول كتاب لـه عـام ١٩٣٧ بعنوان « اسلام نابوليون » .

ولم يكن هذا الاسم المستعار الوحيد الذي اتخذه العودات لنفسه في كتاباته ، فقد سبقته اسماء أخرى كان يوقع بها مقالاته في الصحف منذ ان بدأ يكتب عام ١٩٢٦ . تلك الاسماء القصيرة الآجال كانت : « ابـو نظـارات » و « نواف البدوي » و « فتى مؤاب » و « غريب عن اورشليم » . ولكن هذه الاسماء جميعها سبقت ظهور كتابه الاول « اسلام نابوليون » ثم اختفت حين اتخذ العودات لنفسه اسم « البدوي الملثم » وظل يعرف به حتى آخر عمره ، وبه وقع جميع مؤلفاته التي تجاوزت العشرين ، وكذلك جميع مقالاته العديدة في مختلف الصحف والمجلات العربية .

وُلد يعقوب العودات في مدينة الكرك ، في جنوبي الاردن ، عام ١٩٠٩ ، وانهى دراسته الابتدائية والمتوسطة في الكرك ، ثم انتقل الى المدرسة الثانوية في مدينة اربد ، في الشمال الاردني ، ونال شهادتها عام ١٩٢١ ، وهو العام الذي أسس فيه الامير ـ الملك فيما بعد ـ عبد الله بن الحسين امارة شرقي الاردن لينطلق منها الى تحرير سوريا من الاستعمار الفرنسي ، فالتف حوله جميع احرار العرب في سوريا ، وشرقي الاردن ، وفلسطين ، والعراق ، الذين التفوا من قبل حول والده الحسين بن علي ، قائد الثورة العربية الكبرى ، وحول شقيقه فيصل ، قائد جيوش الثورة ، وملك سوريا ، ثم العراق، من بعد .

في عام ١٩٢١ ، وبعد انتهاء الدراسة في مدرسة اربد الثانوية ، التحق يعقوب بوزارة المعارف معلما للغة العربية في الصفوف الابتدائية ، وعمل فيها خمس سنوات ، انتقل بعدها الى ديوان رئاسة الوزراء ، ثم نقل سكرتيرا للمجلس التشريعي . وفي عام ١٩٤١ ، استقال من خدمة الحكومة الاردنية وانتقل الى القدس ، حيث عمل في قسم الترجمة في السكرتيرية العامة لحكومة الانتداب البريطاني . واستمر في عمله هذا حتى كانت النكبة الفلسطينية عام ١٩٤٨ ، فعاد هذه المرة الى الاردن لاجئا مع اللاجئين .

بعد عودته الى الاردن عمل في وزارة اللاجئين ثم في وزارة المالية . وفي عام ١٩٥١ استقال من الوظيفة ومضى في رحلة طويلة استغرقت عاما ونصف العام الى المهاجر الاميركية ، زار فيها العديد من اقطار اميركا الجنوبية والوسطى ، واتصل بالعديد جدا من ابناء الجوالي العربية فيها : الادباء ورجال المال والاعمال ، وكذلك بالصحافة والاندية العربية المختلفة والجمعيات الخيرية والوطنية ، وعاد بعد ذلك ليضع كتابه الضخم « الناطقون بالضاد في اميركا الجنوبية » ، وهو مرجع فريد من نوعه من حيث السعة والشمول والتعريف بحياة المهاجرين العرب ، والوان العيش والعمل التي يمارسونها .

بعد عودته من ديار الهجرة في اميركا عين موظفا في ديوان المحاسبة في عمان ، واستمر يعمل فيه الى ان احيل على المعاش قبل نحو ثلاث سنوات من وفاته . وبعد احالته على التقاعد سافر الى الكويت للعمل هناك ، ولكنه لم يلبث ان عاد الى الاردن بعد ان اصيب بمرض مفاجىء كاد يفقد معه حياته . وفي عمان انقطع هذه المرة الى العمل الادبي وحده ، ومضى في كتابة مقالاته الادبية المتلاحقة في مجلة « الاديب » بعنوان « من اعلام الفكر والادب في فلسطين » التي كان قد بدأ في نشرها متسلسلة منذ مطلع عام ١٩٦٤ ، مبتدئا آنذاك بعيسى السفري « اديب من الفردوس المفقود » . وفي الوقت الذي كان يرسل فيه هذه المقالات تباعا الى « الاديب » كان عاكفا على جمعها وترتيبها واعدادها لتصبح موسوعة ينشرها على الملأ قريبا في بضعة مجلدات . وقد وافاه الاجل وهو عاكف على اعدادها للنشر .

كان آخر كتاب صدر للبدوي الملثم هو « رسائل الى ولدي خالد » ، الذي ظهر في سلسلة « اقرأ » عن دار المعارف بمصر عام ١٩٧٠ ، بعد ان نشر تلك الرسائل في « الاديب » تباعا – على غرار رسائل السكاكيني في كتابه « سري » – وقد وجه تلك الرسائل الى ابنه خالد بعد ان ارسله لدراسة الصيدلة في الجامعة الاميركية في بيروت .

من أهم مؤلفات البدوي الملثم المنشورة كتبه التالية: (عرار شاعر الاردن – الناطقون بالضاد في اميركا الجنوبية – شكري شعشاعة – ابرهيم طوقان في وطنياته ووجدانياته – سليمان البستاني والالياذة) . ولئن كانت صفتا الجمع والتصنيف غالبتين في هذه الكتب وفي غيرها ، فان الكتب الثلاثة الاولى منها ، بشكل خاص ، تجمع كذلك صفة المراجع التي لا يستغني عنها كل من يريد الكتابة في موضوع من مواضيعها ، وعلى الاخص كتابه « عرار شاعر الاردن » الذي يظل في مقدمتها جميعا ، ويظل اول مرجع شامل واف عن شاعر الاردن الاعظم مصطفى وهبي التل ، او « عرار » – وهو الاسم المستعار الذي عرف به الشاعر طوال حياته الشعرية – . وكذلك تجمع هذه الكتب – ولا سيما: عرار، وشعشاعة، وطوقان – ميزة خلقية جديرة بالتنويه ، هي ميزة الوفاء للاصدقاء الراحلين .

وعلى ذكر الصداقة والاصدقاء ، لا بد لي من ان اذكر ان يعقوب العودات كان كثير الصداقات والاصدقاء: فلقد كان له مئات من الاصدقاء في البلاد العربية والاجنبية ، وكان حريصا كل الحرص على استمرار هذه الصداقات : فهو يراسل أصدقاءه باستمرار ، ويكاد القسم الاكبر من جهده ينصرف الى هذه المراسلات العديدة جدا والمستمرة . وهو يعتبر الصداقة وفاء متبادلا ، وخدمة متبادلة لا منة لصديق فيها على الآخر مهما يكن فيها من جهد وعناء وتضحية . وهو لذلك لم يكن يبخل قط باسداء الخدمة المستطاعة لكل صديق ، مهما نأت دياره . وهذه مزية خلقية قل في الناس أصحابها ، ولكن يعقوب العودات حافظ عليها حتى آخر يوم من حياته . والاستاذ البير اديب يعرف الجهود الكبيرة التي بذلها يعقوب في خدمة مجلة « الاديب » بمناسبة يوبيلها الفضي : فقد كان له الفضل الاكبر في تأليف « لجنة تكريم الاديب » في الاردن ، وجمع التبرعات لها من اصدقائه في الاردن وفي غير الاردن ، حتى استطاعت اللجنة ان تقدم للاديب في ذلك العام مبلغا كبيرا من المال لضمان استمرارها . واستمر بعد ذلك يجمع لها التبرعات والاشتراكات بهمة وغيرة غير منكورتين ، حتى لكأنها مجلته هو .

كان أبو خالد من الرعيل الاول من رجال الادب في الاردن . وقد بدأ ظهوره الادبي في صحف شرقي الاردن وفلسطين وسوريا منذ عام ١٩٢٦ ، بالمقالات الادبية العديدة التي كان ينشرها في تلك الصحف بتواقيعه المستعارة المتعددة . ولكنه منذ عام ١٩٣٦ صرف جهده عن كتابة المقالات الصحفية المتفرقة ، المتباعدة المواضيع، الى تأليف الكتب ، فصارت مقالاته الصحفية ، في الغالب، فصولا واجزاء من كتاب ، كما رأينا في رسائله الى ابنه خالد في مجلة « الاديب » وفي مقالاته المتلاحقة – في الاديب كذلك – تحت عنوان « اعلام الفكر والادب في فلسطين » . ومن هنا لا اذكر مطلقا ان يعقوب العودات اذاع حديثا من اذاعة ، او ظهر على شاشة التلفزيون في مقابلة او ندوة .

والذي يعرف مؤلفات البدوي الملثم يعرف ما يقتضيه مثل هذه المؤلفات من المراجع ، والاتصالات الشخصية ، والاسفار ، وما تتطلبه من صبر وجلد على الجمع والتصنيف والتحبير ، ومن سهر الليالي في الاعداد والترتيب .

رحم الله ابا خالد ، فقد عاش ليكتب ، ومات والقلم آخر صديق أغمض عينيه على رؤيته ، واطبق كفه على مصافحته .

عمان – الاردن **عيسى الناعوري**

غموض

الى الاخ الشاعر فؤاد الخشن

رؤياك يا فتنة الالباب غامضة
اكاد المسها في الشك والحذر
حاولت تجسيد آمالي فاسلمني
هوى صباك الى شيء من الخدر
اني تعلمت من عينيك ملحمة
لا زلت في الليل اتلوها على القمر
احسست بالحب ينبوعا تفجره
عيناك في يقظة الاحلام والسهر
وناغمتني تراتيل مرددة
لحن الجمال الذي غنى به عمري
وان صوتك يدعوني فاسمعه
لحنا من الغيب آت من سوى البشر
لوحي بحبك نحوي انني قلق
من الغموض وهذا فوق مصطبري
دعي الغموض الذي تهوينه ودعي
خوفي من الرعد يدنيني من المطر

البحرين **احمد محمد الخليفة**



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان

***

القدوة الصالحة

هل سمعت بالجلابيب ؟!

انها جمع جلباب ـ كما تعلم ـ وهو ما كان يطلقه العرب على كل ثوب يلبسونه ، ولقد كانت هذه الكلمة نعتا بغيضا أشد البغض ، اطلقه بعض من كان في قلوبهم مرض ، فاذا هو صفة ملازمة ، يحملها نفر من الناس في « يثرب » ، وتمتلىء بها الافواه عند الغيض والحنق والمشاحنة ، ليقذف بها ذلك النفر في وجوههم ، فاذا هي كالصفعة المدوية الموجعة ، او تطوح في اعقابهم اذا ما تولوا مدبرين في شتى المسالك ، فاذا هي تنصب في اسماعهم جارحة مؤلمة ، فيكون لها في تلك الاسماع ما يشبه فعل السياط في الظهور العارية المدماة ، فلا تسل عن فعلها يومذاك في النفوس ، حين تلوكها الحفيظة على الالسن ، وتتماوج بها اصوات المنافقين ممدودة منغومة .. (جلابيب) ؟ فمن هم اولئك ؟

انهم النفر المؤمنون الصادقون ، الذين اطل عليهم يوم بعد ذلك كانوا يقابلون فيه بعضهم بعضا ، في مسالك (يثرب) ودروبها ، وقد رفع الواحد منهم اصابعه الثلاثة ليهتف في وجه صاحبه ودموعه تملأ مآقيه ، ويداه تطوقانه في شوق ولهفة ، وهو يردد بانفعال لا حدود له : « انها ثلاثة ايام فقط ، ثلاثة ايام بلياليها ثكلتك امك .. وبعدها أتدري ما يكون ؟ يكون الانطلاق المبارك نحو مرابع الطفولة ، وملاعب الصبا ، وديار الاحبة ، من الاهل والخلان .. تكون الغدوة الميمونة في ركاب النبي صلوات الله عليه، الى الوطن الحبيب الغالي، فيا للفرحة الغامرة، ويا لسعادة الغريب الذي امضته الغربة ، وهو يعود الى مواطن الشوق ، ليطفيء على ثراها الطهور غلة الوجد ، وحرقة اللهفة والحنين » .

انهم المهاجرون ..

الذين خرجوا من مكة يوم الهجرة بايمانهم .. وبايمانهم وحده دون سواه ، وليس في حوزة احد منهم ، من حطام الدنيا ، غير جلبابه الذي يستر به جسده ، وهو ما كان يعيرهم به المنافقون ومن في قلوبهم مرض من اهل (يثرب) ومن اجل ذلك ، كانت فرحتهم لا حدود لها ، حين امرهم النبي بالاستعداد للخروج ليشهد بهم الحج في ميقاته عام (الحديبية) .

هؤلاء المؤمنون الصادقون ، الذين تحملوا ما كان يعيرهم به المنافقون من فقرهم وخصاصتهم وهم ينعتونهم بالجلابيب اشارة الى ذلك ، وتحملوا اوجاع الغربة والحنين الى الوطن في سبيل هذا الايمان ، بل تحمل بعضهم من قسوة العيش الوانا ، بحيث لا يجد معها مكانا يؤويه ، فلم يكن امامه غير « الصفة » في مسجد الرسول ينام عليها اذا ما اجنه الليل ، وما اكثر من كان هذا حالهم منهم ، وحسبك انهم عرفوا عند اهل يثرب باهل « الصفة » وربما كان بينهم ربيب النعمة والجاه قبل هجرته ..

هؤلاء دون سواهم من اسلافنا ..

اجدني اذكرهم كلما اظلتنا ذكرى « يوم الهجرة » فاذكر فيهم التضحية في اسمى معانيها واذكر فيهم الجهاد في انبل غاياته ومقاصده ، واذكر فيهم الايمان الصادق الذي لا تشوبه شائبة من اغراض اهل الدنيا ، حين تصرف هذه الدنيا اهلها عن الآخرة .

اذكرهم مع اطلالة يوم الهجرة ..

فاذكر فيهم القدرة التي حق للمسلمين في كل زمان ان يأنسوا بها ، وان يقتدوا باصحابها ، فيقلدوهم في تضحيتهم ، لينحوا عنهم بعيدا ما يداهمهم من تيارات الظلم والبغي والعدوان .

ولو فعلنا ذلك ..

لو فعلناه عن ايمان وعقيدة وتجرد ، لما بقيت اجزاء غالية من اوطاننا الواسعة المترامية يعيث فيها اعداء العرب والمسلمين فسادا ، ويجرعون اهلها من كؤوس الجور والاستغلال والتحكم الوانا ..

لو كان ذلك ..

لعرفنا معه كيف يكون اجتماع الكلمة ، وكيف تكون وحدة الصف ، وتناسي الاحقاد ، والخصومات ، والسير تحت لواء واحد ، لا يختلف تحت افيائه فريق وفريق ، ما دامت الغاية واحدة ، وما دام الهدف واحدا .

لو عرفنا ذلك ..

لعرفنا معه كل الذي ذكرت ثم لعرفنا معه كثيرا غيره ، مما نحن في امس الحاجة اليه ، ما دمنا على ما هو قائم بيننا من فرقة وتمزق وضياع .

اجل .. لو عرفنا ذلك .. ولكن متى نعرفه يا ترى؟

اننا لو احصيتنا « مسلمين » بل لو احصيتنا « عربا » .. لوجدت من وفرة عددنا في الحالتين ما يهول ، ولوجدت عدونا مع كافة من ينتمون اليه في انحاء الارض الى جانب كثرتنا مثل نقطة صغيرة في بحر واسع كبير .. ولكنه بحر غير لجي ، سكنت فيه الامواج الهادرة ، المدوية منذ عهد بعيد ، فمتى يستيقظ فيه التيار ، ومتى يهيج الاعصار ؟

ليت شعري .. متى ؟

لـو عملـوا بذلـك !

ثقفوا رؤساءكم ..

هذه كلمة قالها احد المسؤولين عندنا في عدد من الموظفين لديه ، وكان يرد بها على تساؤل تداولوه فيما بينهم حول الاجراء الذي يمضيه صاحبه ، وهو يعتمد فيه على اجتهاد تغيب عنه بعض نواحي القانون او تغيب عنه ثمرات الخبرة التي وصل اليها اصحابها بعد كثير من التجارب ..

وحيال ذلك ..

رايتني اتمعن في حقيقة معناه ، انه يقصد بهؤلاء الرؤساءولاة الامور ، وليس من سبيل تثقفهم به وانت تبع لهم ، الا ان تبين لهم وجه الراي لتدلهم به على مواطن الصواب ، في حدود ما يصل اليه علمك ، وتنتهي عنده مجالات خبرتك . شريطة ان لا تجاوز في ذلك ما تفرضه عليك هذه التبعية من آداب وواجبات .

واعجبني هذا القول ..

وذكرت به مواقف من ايامنا الخالدات ، يوم كان ولاة الامور – آنذاك – يقبلون مثل هذا « التثقيف » من التوجيه وان قسا به صاحبه ، دون ان يضيقوا به ذرعا ، او يغضبوا منه ، فينالوا بالعقوبة من توجه به ، وبرز من ذلك موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه وارضاه ، يوم كان يتحدث عن صداق النساء ، فينهي عن المغالاة فيه ، وينصح الناس بان يلتزموا منه مثل الذي اصدق به علي بن ابي طالب كرم الله وجهه زوجته فاطمة الزهراء ، وهي ابنة محمد صلوات الله عليه ، وكان صداقها الذي اشار اليه بسيطا هينا ، لا يثقل به كاهل مهما ضعف صاحبه وضاق مداه . وكان عمر يقول ذلك بوحي من اجتهاده ، دون ان يسأل اصحاب الرأي من حوله فيما يعترض هذا الاجتهاد ..

وتصدت له امراة ..

تصدت له هذه المراة من بين المصلين ، لتقف مثل ذلك الموقف ، الذي دعا اليه الرجل المسؤول عندنا ، لتثقف « ولي امرها » خليفة المسلمين ، وتبصره فيما غاب عنه ان يتنبه اليه من كتاب الله ، فتهتف بالصوت الجهير قائلة بما معناه :

– يا ابن الخطاب .. كيف تحرم ما احله الله لنا بقوله : « وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ؟! » .

وعند ذلك تراجع الخليفة العادل عما راى ، وقبل من المراة الفقيهة الواعية هذا « التثقيف » ، دون ان يغضب منه او يضيق به ذرعا ، وقال كلمته المشهورة :

– اصابت امراة واخطأ عمر ..

ولم يذكر التاريخ ..

ان رجلا برز من بين المصلين في ذلك اليوم ، ليقول ان امراة من عامة الناس ، افقه من امير المؤمنين باعترافه هو وشهادته على نفسه ، ولذا فهو غير جدير بالمكان الذي ندبه الناس اليه .. !!

كلا .. لم يذكر التاريخ ذلك ، ولكن الذي يذكره كل من قرأ تاريخ عمر ، وطالعته فيه كلمته المأثورة تلك ، انه امتلأت نفسه من ذلك اعجابا به واكبارا له . ورأى فيه الرجل المنصف العادل ، الذي لا يبالي ان يضع الحق في موضعه ، حتى ولو كان يخالف بذلك رأيا رآه هو وجاهر به على ملأ من الناس ..

وقلت في نفسي :

ليت الكثيرين عندنا يعملون بقول ذلك المسؤول ، فيسعون هم الى « تثقيف » انفسهم – حسب تعبيره – وذلك بان يسألوا من يعملون معهم عن طبيعة اعمالهم ، ليعرفوا حقيقة هذه الاعمال ، ممن يتولونها . فهم اقدر على تقويمها ووصفها من الآخرين الذين يرونها من بعيد ، ولهم بعدها ان يأخذوا بما يصلهم من ذلك او يدعوه ، ما دامت المصلحة العامة غايتهم .

يا أخي القارىء ..

ان هذه الخاطرة عرضت لي وانا اسمع ذلك القول من المسؤول عندنا الذي مضى ، واظنه سوف يوحي الي بالكثير مما سأقوله بعد اليوم من خواطر ..

عمان – الاردن **محمد سليم رشدان**

اصـــــداء

اديـل الخشــن

الشويفات ـ لبنــان

عيناك وطني ، هما قريتي ، هما اهلي !
ودون عينيك انا لا احيا !!
الى اين اهرب ؟ البيت صحراء ، والشرفات تمطر ليلا أبكم ،
غرفتك الفارقة في الصمت ،
على جدرانها تتزلق نظراتي العجلى ،
اني اخافها !... اخاف سريرك الممتد ،
كشاطيء دون امواج ،
كخيمة مهجورة في ليل البادية ،
اخاف هذا الغطاء الراكد دون انفاس !
يتكوم مرة ، وينفلش مرارا ، يفر من رجليك ،
ينسدل على صدرك ويتذوق نبض الحياة ووهجها .

ابعدوني عن اشيائك ...
ذهبت الى شرفتك المختبئة ،
سيجارتك الهامدة ، تشعل لهاثي ،
وعلى كرسيك تنام برودة الشتاء .
ما بال الشارع مقفرا ؟ يتقيأ المسافات ،
يجر رجليه كفرس مريضة ،
ويشلح ذراعيه بعياء !
انه يحس ثقل الخطوات واختناق الحناجر !!

●

يا بني ... ايها الصارخ في القفار
الشارد في جميع الموانيء ،
ايها المبحر الهادر بالصمت والمعاناة ،
اني هنا بانتظارك . الحقول كثيرة ،
والبذار تطفح به الجرار ،
وكل خوفي ان تبخل السماء بالغيمة الخيرة ،
ان تذبل عيناي مع الخريف ،
واحترق حول قناديل الانتظار !

●

هذا الوطن الذي نحمله على اهدابنا ،
ننام ، وكأنه وسادة من جمار تحت رؤوسنا
هذا الوطن ، كلسعة افعى يلهب دماءنا
كالسيل الجارف يجتاح ويمهد ،
ليتوسد قلوبنا ، هذا الوطن الكبير الكبير ،
لا يتسع لقلوبنا الصغيرة ،
لا يتسع لانتفاضة اجنحتها ،
يشرد ابناءنا ... ويلصقها على ابواب الغربة ، ..
كان السباق في تصدير الحرف ،
وابناؤه اليوم يستعطون الحرف ،
يتسكعون كاللقطاء في المناخات الغريبة ،

اني ابكي ، ابكي بعيون جميع الامهات
ابكي اغتراب الورود عن اغصانها .



عيسى الناعوري

عيسى الناعوري: حياته واعماله الادبية

بقلم المستعربة الايطالية الآنسة أدالجيزا دي سيمونة
Adalgisa De Simone

* * *

ظهرت هذه الدراسة القيمة في العدد الصادر في ٩ سبتمبر ١٩٧٠ من مجلة « الشرق الحديث » التي تصدر عن « معهد الشرق » في روما . وقد رأينا نشرها في الاديب مترجمة الى اللغة العربية دليلا على ما يتمتع به صديقنا الناعوري لدى المستعربين والكتاب الايطاليين من مكانة ومن تقدير كبير « الاديب » .

* * *

في استئنافنا الحديث (١) لتقديم واجب التحية لمن يعنون في العالم العربي بتراثنا الثقافي ، معربين لهم بطريقة مباشرة عن امتناننا لمعرفتهم الممتازة للغتنا ، ارى ان اقدم في ما يلي معلومات سريعة عن حياة عيسى الناعوري واعماله الادبية ، فهو بشخصيته كشاعر وكاتب من اكثر أدباء الاردن اليوم تقديرا ، جدير بأن ينال حقه من الدراسة والتنويه (٢) .

ولد عيسى الناعوري في ناعور (الاردن) عام ١٩١٨ ، ودرس في المعهد البطريركي اللاتيني في القدس، وعمل في حقل التعليم نحو عشرين سنة كان خلالها يدرس اللغة العربية والادب العربي في مدارس كاثوليكية في فلسطين والاردن . وبعد ان عمل ثلاث سنوات سكرتيرا ومفتشا لمدارس الاتحاد الكاثوليكي في الاردن التحق منذ عام ١٩٥٤ موظفا في وزارة التربية والتعليم في بلده .

وهو باحث نشيط لا يعرف الكلل ، وذو اهتمامات واسعة : فهو ناقد للادب العربي المعاصر ، وبشكل خاص للادب الاردني ، والادب المهجري الذي اختصه بالعديد من الابحاث (٣) . ويساهم الناعوري بشكل فعال في الحياة الثقافية في العالم العربي الذي كرس له — الى جانب كونه شاعرا ومؤلفا — نشاطا في مجال المحاضرة : بالعربية والايطالية والانكليزية ، وفي المشاركة الفعالة في المؤتمرات والحلقات الدراسية (٤) . وفي النشاطات الكتابية في كبريات المجلات في العالم العربي ، عدا المجلة التي اصدرها بنفسه مرة . وفي مجلة « الاديب » — التي اذكرها ههنا على سبيل المثال فقط — من اليسير جدا ان نجد توقيع عيسى الناعوري — الذي كان كذلك صاحب مجلة ادبية شهرية هي « القلم الجديد » من أيلول ١٩٥٢ الى آب ١٩٥٣ — في ذيل قصيدة او اقصوصة حينا ، وحينا في تقديم كتاب او مراجعته ، او في مقال حول مؤتمر ، او دراسة نقدية لحدث ثقافي .

وكذلك في حقل نشاطاته في الثقافة الايطالية بالذات نجد ان هذا الاديب الغيور الواسع الاطلاع على ادبنا ، والذي يعرف بلدنا معرفة جيدة بحكم وجوده فيه في بعثة دراسية لليونسكو من أيلول ١٩٦٠ الى اذار ١٩٦١ ، الى جانب زياراته العديدة الاخرى ، يبدي اهتمامات متعددة، ويعمل — اذا جاز لنا القول— وسيطا مزدوجا في العلاقات الثقافية بين ايطاليا والعالم العربي : فاذا كان يعمل ، في الواقع ، من جهة على تعريف العرب ببعض الجوانب الاكثر اهمية من ثقافتنا بالترجمة ، وكتابة المقالات والمحاضرات (٥) ، فهو من جهة أخرى — عدا اهتمامه الشغوف بتتبع نشاطات المستعربين الايطاليين ، والمشتغلين بالدراسات الايطالية من العرب ، سواء بترجماته ومراجعاته لكتبهم وابرازه لاعمالهم (٦) — يهتم بأن يقدم للايطاليين غير المتخصصين بعض الجوانب الاكثر بروزا من الثقافة العربية والشعر العربي المعاصر ، كما فعل اخيرا في كتابه « قصائد من نار ودم — لشعراء المقاومة العرب » (ظهر في روما عام ١٩٦٩) الذي قدم فيه ترجمة ايطالية لعدد من القصائد الملتهبة للشعراء الفلسطينيين : محمود درويش ، سميح القاسم ، توفيق زياد ، وفدوى طوقان .

وعدا ذلك ، تلتقي في عيسى الناعوري ، في اختصاصه بالثقافة الايطالية ، ميزتان لا غنى عنهما للترجمة الجيدة : المعرفة الجيدة — بطبيعة الحال — للغة التي ينطلق منها ، وكذلك للغة التي ينقل اليها . وهاتان ميزتان ليس من نافلة القول ان نبرزهما ونؤكد عليهما ، فنحن نعلم ، بكل اسف ، ان المترجم العربي احيانا قد يجيد معرفة اللغة التي يترجم عنها اكثر من

اجادته للغته الخاصة . ومن المؤكد ان هذا لا يؤدي خدمة جيدة للنص الاصلي الذي كثيرا ما يصبح بعكسه نتيجة الترجمة .

اما اعمال عيسى الناعوري المطبوعة في حقل ابطاليات (٧) فتتمثل بشكل رئيسي في :

١ ـ أطفال وعجائز (بيروت ١٩٦١) ، وهو ترجمة للاقاصيص الايطالية التالية التي كان أبطالها جميعا ، وبشكل متعمد ، « اطفالا وعجائز » ، وهي :

(امومة ، لجوزيبي فنتشولي ـ كنز الفقراء ، لجبريلي دانونتسيو ـ قط من لباد ، لميلي دادولو ـ اسرة فقيرة ، لجوزيبي تشيزاره ابا ـ مشية رياضية بالمعطف ، لجوفاني موسكا ـ الافعال اللازمة والافعال المتعدية ، لالفريدو بانتسيني ـ الطالب والشيخ ، لغراتسيا ديليدا ـ باولينا ، لفيتوريو روسي ـ العودة الى صقلية ، لنيلو سايتو ـ المتشرد ، لالبرتو مورافيا ـ عندما تدرك الامور ، للويجي بيرانديللو ـ العمة يعقوبة ، لغراتسيا ديليدا ـ) .

٢ ـ فونتمارا (٨) (بيروت ١٩٦٣) ترجمة رواية لانياتسيو سيلونه .

٣ ـ من القصص العالمي (عمان ١٩٦٩) مجموعة اقاصيص مترجمة من الآداب العالمية الكبرى ، وبينها خمس اقاصيص ايطالية: لالبرتو مورافيا ـ كورادو الفارو ـ بيير ماريا دي سان سيكوندو ـ البا دي تشسبيديس ـ وجوزيبي مارونا .

اما ترجمة (فونتمارا) رواية انياتسيو سيلونه المنشورة عام ١٩٦٣ ، فانها حتى الآن أهم عمل من نشاطات الناعوري الايطالية (٩) . ولا شك في ان هذا الكتاب ـ وقد نشرته دار الطليعة في بيروت ـ كان جديرا بالاخراج في حلة طباعية اكثر لياقة (١٠) .

غير ان هذا الكاتب الاردني المختص بالثقافة الايطالية قد كان موفقا جدا في اختياره لهذا الكتاب القمة من الادب الايطالي الحديث ـ ففي اكثر من موقف سيجد القارىء العربي نفسه في « فلاحي » مارسيكا البسطاء والابطال ـ . وكذلك كانت موفقة جدا الصيغة التي يقدمها المترجم ، والتي تتناسب بشكل يستحق التقدير كله مع روح النص الاصلي ، فقد حرص على ان يكون أمينا جدا على هذه الروح (على الاقل بمقدار ما تسمح به عبقرية اللغتين المختلفتين) .

وربما كانت هناك ملاحظة يمكن تقديمها فيما يتعلق بالتسميات لدى الفونتماريين : صحيح ان الاسماء لم يكن يمكن الا ان تنقل كما هي ، ولكن لماذا لم يحاول الاشارة الى معانيها التي كثيرا ما تكون ذات نكهة خاصة، كما فعل باسم « فونتمارا » ؟ فليس من الصدف مطلقا ان يحمل ابطال الرواية اسماء (دون تشيركوستانسا ـ دون أباكيو ـ سكاربونه ـ لا تزابا ـ انوتشنتسو لا ليجه ـ فينيردي سانتو ـ الفارس باتسيينتسا ـ كارلو مانيا) (١١) وعلى ذكر هذا الاخير ، كان يمكن لشرح اسمه ان يجعل القارىء العربي يتذوق التلاعب بالالفاظ في عبارة (دون كارلو ؟ مانيا) التي لا يكفي لتذوقها نقل اللقب بحرفيته بكل بساطة مع عبارة « يتناول الطعام » (ص ٢٥) .

واشير كذلك الى نوع من مفردات سيلونه الرشيقة والشعبية التي تحولت الى مفردات عادية عمومية ، مما قد يعزي غالبا الى الصعوبة الخفية في نقل حيوية بعض التعابير ، عند النقل من لغة الى اخرى ، والى خصائص محددة في اللغة العربية . ففي الواقع انه يبدو لي من الفصاحة المبالغ فيها ـ على سبيل المثال فقط ـ استعمال كلمة « مرتديات » (ص ٤٤) للتعبير الاصلي الاكثر دلالة (١٢) . وكذلك عبارة « اعطى جوابا مرضيا » (ص ١١٤) للعبارة الاصلية الاكثر ارضاء (١٣) . غير ان ترجمة Cafoni بكلمة (فلاحون) جيدة ـ على الرغم من انها لا تبدو كذلك لاول وهلة ـ ومع ان هذه الكلمة تعني ايضا (سكان القرى) الا انها لا تلبث ان تبدو حالا ذات دلالة معنوية دون هذه الاخيرة .

ولا بد كذلك من الاشارة الى بعض الهنات ، من مثل سقوط بعض العبارات من الترجمة في الصفحات (١٥٣ ـ ١٦٥ ـ ١٨٥) وكذلك ـ وهذا مما لا يمكن تجنبه في عمل من هذا الحجم ـ بعض الهنات في فهم النص الاصلي ، كما في الصفحتين (٧٥ و ١٦٤) .

هذه الهنات العابرة قليلة جدا ، وقليلة الاثر في العمل الذي قام به عيسى الناعوري ، الذي اثبت انه مترجم واسع الثقافة ، دقيق ، وذو حساسية بالغة ، بحيث استطاع ان ينقل بطريقة بارعة وملأى بالحيوية الاسلوب الشخصي جدا لكاتبنا الابروتسي .

وما دام العالم العربي ـ كلما شاء واحس بالحاجة ـ يستطيع ان يتتبع انتاجنا الفكري عن طريق الترجمات العديدة ـ والممتازة احيانا ـ في اهم اللغات الغربية ، فان المساهمة التي يقدمها عيسى الناعوري عظيمة القيمة في جعل ابناء قومه على صلة مباشرة بأدبنا . والواقع انه يقدم بذلك خدمة للعالم العربي ، وكذلك لايطاليا التي قد تستطيع اكتساب معجبين جدد لادبها ، وتستفيد من مد جديد للدراسات الايطالية التي لا تجد في الحقيقة غير عناية قليلة في العالم العربي .

---

١ ـ سبق ان قدمت كلمة حول اعمال الكاتب المصري طه فوزي في حقل الايطاليات ، في مجلة « الشرق الحديث » السنة ٤٩ عام ١٩٦٩ ص ٢٨٨ ـ ٢٩٢ .

٢ ـ اقتصر هنا على ايراد قائمة من انتاج الناعوري الادبي (الشعر ، والنثر ، والمقالة) تحمل في طياتها آثارا عميقة من المأساة الفلسطينية :

اناشيدي (مجموعة شعرية ـ حماة ١٩٥٥) الحب الانسان (مجموعة شعرية ـ حلب ١٩٦٢) طريق الشوك (مجموعة اقاصيص ـ عمان ١٩٥٥) خلي السيف يقول (مجموعة اقاصيص ـ القدس ١٩٥٦)

عائد الى الميدان (مجموعة اقاصيص — حلب ١٩٦١) اقاصيص اردنية (مجموعة اقاصيص — تونس ١٩٦٨) مارس يحرق معداته (رواية قصيرة — القاهرة ١٩٥٥) بيت وراء الحدود (رواية قصيرة — بيروت ١٩٥٩) جراح جديدة (رواية — بيروت ١٩٦٧) بطولات عربية من فلسطين (قصة النضال الفلسطيني حتى عام ١٩٤٨ ، كتبت بالاشتراك مع ابرهيم قطان — عمان ١٩٥٥) .

٣ — اقتصر هنا ، في القسم الاول ، على ذكر :

الادب العربي المعاصر في المملكة الاردنية الهاشمية (بالانكليزية — صدر عن كلية الآداب في جامعة مالطة ١٩٦٧) الشعر المعاصر في الاردن والشاعر الكبير مصطفى وهبي التل (بالانكليزية — صدر في مجموعة اعمال مؤتمر الدراسات العربية والاسلامية — رافيللو ، ايطاليا من ١ الى ٦ سبتمبر ١٩٦٦ — نابولي ١٩٦٦) .

وفي القسم الثاني اذكر المؤلفات الاربعة المهمة :

ايليا ابو ماضي رسول الشعر العربي الحديث (الطبعة الاولى ، عمان ١٩٥١ ، والثانية المنقحة والموسعة ، بيروت ١٩٥٨) الياس فرحات شاعر العروبة في المهجر (عمان ١٩٥٦) ادب المهجر (الطبعة الاولى والثانية ، القاهرة ١٩٥٩ و ١٩٦٧ ، وقد راجعه المستشرق الايطالي مارتينو ماريو مورينو في مجلة « الشرق » الايطالية العدد السابع ١٩٦٠ ، والمستشرق الايطالي فرانشيسكو غبريبلي في مجلة « الشرق الحديث » العدد ٤٠ عام ١٩٦٠) ونظرة اجمالية في الادب المهجري (عمان ١٩٧٠) .

٤ — لقد مثل عيسى الناعوري الاردن في المؤتمرات التالية : (مؤتمر الادباء العرب في الكويت ١٩٥٨ — المؤتمر الدولي للادب العربي المعاصر في روما ١٩٦١ — مهرجان الشابي في تونس ١٩٦٦ — مؤتمر الدراسات العربية والاسلامية في رافيللو ، ايطاليا ، ١٩٦٦ — مهرجان دانتي اليفيري في بولونيا ، ايطاليا ، ١٩٦٦ — مؤتمر الدراسات الاسبانية والاسلامية في قرطبة ١٩٦٧ — مؤتمر الادباء العرب في بغداد ١٩٦٩ — المؤتمر الدولي للفلسفة والعلوم الانسانية في بالرمو ١٩٦٩) .

٥ — دانتي والكوميديا الالهية — رواية الفهد ومؤلفها تومازي دي لامبيدوزا — سيلفيو بيلليكو وكتابه « سجوني » — سمات ومشابه في روايتي جوفاني فيرغا الكبريين — مع الادب الايطالي المعاصر — الادب الايطالي في العالم العربي — هذه عناوين بعض المحاضرات التي القاها عيسى الناعوري بالعربية عن الادب الايطالي .

٦ — اذكر في هذا الصدد — على سبيل المثال فقط — الترجمة غير المنشورة بعد لكتاب « الثقافة العربية في صقلية » لاومبرتو ريتسيتانو ، المستعرب الايطالي البحاثة الذي راجع عيسى الناعوري في بعض مقالاته كتابه الحديث « الادب العربي » (المطبوع في ميلانو ١٩٦٩) في جريدة (الدفاع) الاردنية في ٢٩ ابريل ١٩٧٠ . وكذلك مراجعته في مجلة (الاديب السنة ٢٦ عام ١٩٦٧) لكتاب « دراسات مغربية » (المطبوع في نابولي عام ١٩٦٦) ، وكتاب « السماكة في بلدان حوض المتوسط العربية » المطبوع في فلورنسا عام ١٩٦٦ للمستعرب الايطالي جوفاني اومان (الاديب ، العدد عينه) . وكلمته المنشورة في (الاديب — السنة ٢٥ عام ١٩٦٦) عن مؤتمر الدراسات العربية والاسلامية في رافيللو — ومقاله « طه حسين والمستشرقون الايطاليون » (الاديب — السنة ٢٥ عام ١٩٦٦) . وهناك اخيرا مقالان له في (الاديب — السنة ٢٨ عام ١٩٦٩ والسنة ٢٦ عام ١٩٦٧) عن (الاديب الايطالي الكبير رفائيل سبونغانو) و (الكاتب الايطالي فانيتانو راغونيزه) وقد اشتمل هذا المقال الاخير على دراسة قيمة للكاتب الشهير جوفاني فيرغا والمذهب الواقعي .

٧ — لاستحالة ذكر جميع المقالات التي كتبها البحاثة الاردني حول الثقافة الايطالية اكتفي بذكر ترجمته الجميلة لقصيدة « اريتوزا، الفيوس ، لينكوس » لسلفاتورة كوازيمودو ، المنشورة في القسم العربي من مجلة (الشرق الايطالية) بعنوان « من مترجمات الشاعر الايطالي سلفاتورة كوازيمودو » . وكان الناعوري قد سبق هذه الترجمة في شهر يناير ١٩٦٠ وفي مجلة (شعر) البيروتية ، بدراسة للشاعر كوازيمودو مع ترجمات لست وعشرين قصيدة من شعره .

ومن اعمال عيسى الناعوري في حقل الايطاليات نذكر ترجمته لرواية (الفهد) لجوزيبي تومازي دي لامبيدوزا ، التي ستصدر قريبا، وكذلك ترجمته لست وعشرين من القصص القصيرة لادباء ايطاليين معاصرين ، وترجماته للعديد من القصائد لشعراء ايطاليين معاصرين مع مقالات عنهم ، ومنهم : كوازيمودو ، اونغاريتي ، ومونتاله ، وكذلك كتابه المخطوط « ادباء ومستشرقون عرفتهم في ايطاليا » .

٨ — راجعه الاب اغناطيوس سركيس نجار في مجلة (الشرق — الايطالية) عام ١٩٦٥ .

٩ — تقديرا لاهتمام البحاثة الاردني بثقافتنا الايطالية نال عام ١٩٦٣ ميدالية فضية من وزارة الخارجية الايطالية ، ومنح عام ١٩٦٤ وسام الجمهورية الايطالية من رتبة فارس ضابط .

١٠ — المقدمة القيمة التي كتبها المترجم تكاد تكون غير مقروءة — على الاقل في النسخة التي بين يدي — والاخطاء المطبعية عديدة في الكتاب .

١١ — الكاتبة على حق في اشارتها الذكية هذه ، ولذلك اذكر هنا معاني تلك الاسماء حسب ترتيبها : (السيد مناسبة — السيد لحم الضان — الحذاء الكبير — المجرفة — البرىء — سلطة القانون — الجمعة المقدسة — الفارس الصبر — كارلو ياكل) . (ع. ن) .

١٢ — الكلمة الايطالية يقابلها بالعربية العامية (بملابسهن المشرشحة) ولم اشا ان الجا الى هذا التعبير عند الترجمة . (ع. ن).

١٣ — العبارة الايطالية يقابلها بالعربية العامية (راح لاطشه جواب) ولم اشا ان اجعل ترجمتي خليطا من الفصحى والعامية ، وكان هذا أسهل على المؤلف في لغة الكتاب الاصلية . (ع. ن) .

بالرمو — ايطاليا   ادالجيزا دي سيمونة
معهد الدراسات الشرقية في جامعة بالرمو

الى شاكية

احبك جذلى واذ تذرفين
دموعا بلون العقيق الثمين
يزيدك حسنا بعيني الأسى
فاني أحب الجمال الحزين
تعالي تعالي ولا تذكري
حديث السنين وعبء السنين
اذا الورد يوما شكا لونه
فديت بروحي اصفرار الجبين
تعالي تعالي ولا تجزعي
أتعذب نفس بغير الحنين
كلانا كبرنا وظل الهوى
رضيعا فرفقا بمن تفطمين

وديع ديب

الفقيد البدوي الملثم

دموع الوفاء على الصديق الحبيب المغفور لـه يعقوب العودات

مـات يعقوب ، فالاماني حطـام … وفؤادي دام ، ودمعي سجـام
وشغافي حول ابـن جنبي سجن … وضلوعي من حول صدري سهام
وغنـاء الاطيـار نـوح شجـي … ومحيا الصبـح الفتيـق ظـلام
والدنـى كلهـا غيابـة رمس … طوقتهـا مـن المآسي رجـام

يا أبا النبل ! قـد شأوت البرايا … بوفاء جـم بـه الناس هامـوا
وبنفس صفاؤهـا لا يدانـى … وعلـى نبعهـا الاحبة حامـوا
والمـروءات يممتـك حنينـا … ثم قـرت ، وفي يديك الزمـام
وتواضعت فالشـام علـى اسم … وفتى الصدر مـا عليـه لثـام
ورعيت الذمـام يـا خير خـل … علم الناس كيف يرعـى الذمـام
فاذا اليـوم غـاب وجهك عنـا … من سماء الوفاء وهـو تمـام
فلقـد أصبحت كثغـر القوافي … تتغنـى بذكـرك الايـام
حـز في خافقـي ارتحالك عنـا … ودهتنـي الخطـوب والآلام
وجفاني الرقاد ، وانهار صبـري … واستعاذت مـن سقمي الاسقام
ورماني الاسى بحـرب زبـون … وتنحى عن ابـن صدري السلام
واستبدت بـي المصائب حمرا … وسحاب المنـى الهتـون جهـام
فنهاري ليـل ، وفالي ياس … وحياتي مـوت ، وسيفي كهـام
لست ارجو ، وقـد دنوت مـن السبعين الا ان يصطفيني الحمـام
يتشهـى الـورى كؤوس المنايـا … حين تـذوي الآمـال والاحـلام

سيقـول التاريـخ غـير محـاب … انك الروض والشذا والغمـام
والوفاء الاصيل ، وهـو خضم … فـوق شطآنـه أقـام الكـرام
والابـاء الاشم ترنـو اليـه … مقل الصيـد يستبيها الهيـام
والوداد الصافي الـذي وردتـه … قمم الضاد كـي يبـل الاوام
والصديق العمـلاق زفت اليـه … آيـة الشكـر والرضى الاقـلام
حين يقضي الاديب يولـد حيـا … في نهانـا ، ويخلـد الالهـام
ليس يجلو عنه الاسى والدواهي … جامحات ، حتـى يحـل الختام

يـا أخـا المكرمات ! يتمت قلبي … وقلوب الاصحاب فهـي تضام
وتصب الدموع حمـرا ، وتهفو … يائسات ، وفي العـروض ضـرام
أنت يتمتهـا ، وليـس عجيبـا … ان يقيـم المناحـة الايتـام
يندبون العلـى ، وفـذ السجايا … شامخـات كـأنهـا أعـلام
انمـا المـرء سيرة كشـذا الـزهر ، وشهـد تشتاره الاحـلام
سوف تبقى في قلب كـل صديق … وتناجـي خيـالـك الافهـام

قر عينا في الخلـد حيث الاماني … وأرفـات ظلالهـا ، والوئـام
وصفاء القلوب ، والـود محضا … والاغاريد ، والرضى ، والوسام
لـن يطـول افتراقنا ، فقريبـا … يا اخـا الروح ! يغمـد الصمام

صيدا ـ لبنان

محمد العدناني



بقلم يوسف جاد الحق



كانت الشجرة القائمة عند مدخل البيت بمثابة الابن لدى « ابي معروف » يحوطها برعايته وعنايته على الدوام . كان يسقيها كل صباح ثلاثة دلاء من الماء ، يحملها من بيته في الدور الثالث من العمارة ذات الدرج المنحدر شبه عامودي ، لا يحس بالتعب وهو يحمل الدلو الثقيل في يده ، والسنوات الستون فوق منكبيه .

كان امرا مألوفا ان يراه الجيران عند شروق الشمس من كل صباح منحنيا قرب جذع الشجرة ، يصب الماء في الحفرة الصغيرة من حولها ، او يجلس القرفصاء . بيديه المعروقتين يسوي التراب او يزيل الحصى والحجارة التي يلقي بها اولاد الحي ، وهو يصب عليهم اللعنات على شقاوتهم ، ولا يحجم احيانا عن مطاردتهم اذا ما رآهم متحلقين حولها او ممسكين باغصانها .

يقضي « ابو معروف » سحابة نهاره في الشرفة المطلة على الشارع المفضي عند نهايته الى بيارة برتقال تمتد حتى ساحل البحر ، تتماوج خضرتها امام عينيه ، وتتبدى من فرجات هنا وهناك من تحتها ، رمال صفراء ذهبية تذكره برمال مصيف « النبي روبين » ايام الشباب .. ايام كانت له يافا .. يستمتع بالنسمات القادمة عبر المتوسط مشبعة بعبير ازهارها العطرة واوراقها المثقلة برطوبة ندية منعشة . يجلس متكئا بمرفقيه على حافة الشرفة ، وامامه حشد من اشياء كثيرة : تنكة قهوة يتصاعد بخارها احيانا ، فنجان شاي صيني ابيض يملؤه كلما فرغ وهو يتأمل رسومه ، علبة معدنية من نوع قديم عليها بقع صدئة يفتحها في اناة بين حين وآخر كي يلف سيجارة ، سكين صغير اسود يشذب به عودا من البوص او قطعة من الخشب لا يدري احد ماذا يريد ان يصنع به او بها . لا يراه الجيران الا في حركة دائبة ، سواء في جلسته تلك ، او حين خروجه الى الشارع يحمل شيئا يذهب به الى هذا المكان او ذاك ، ثم يعود حاملا شيئا آخر ، صفيحة كاز ، او كيس فحم ، سلة خضار ، او صحن فول في يده وعددا من الارغفة تحت ابطه ، يحمل شيئا ، او يمسك بشيء دائما كأنما وظيفته في الحياة ان يحضر الى البيت اوعية ملأى ليعود فيفرغها في الشارع عقب استعمال محتوياتها ، فالخضار والفواكه سرعان ما تتحول الى كومة من القشور ، والفحم الى رماد .. لا شيء يبقى على حاله . ولا احد من سكان الحي يعرف منذ متى — على وجه التحديد — بدأ « ابو معروف » يجلس الى هذه الشرفة ، فهم لا يعهدونها يوما من دونه ..

لم يكن « ابو معروف » موسرا ، ولكن ابناءه كانوا يكفونه مؤونة العمل . احدهم موظف في دائرة حكومية ، وآخر في متجر للمتنوعات ، وثالث انتمى الى احدى المنظمات الفدائية عقب حزيران اياه ، واحتلال العدو مدينتهم « غزة » .

وكان هذا الاخير « نبيل » على خلاف دائم مع ابيه حول شؤون كثيرة ، من بينها اهتمامه المفرط بهذه الشجرة ، الامر الذي لا يناسب سنه المتقدمة . لكن « ابا معروف » لم يكن يلقي اليه بالا ، بل على العكس ، كان يقول له كلما تحدث اليه بهذا الشأن :

— عندما تتقدم بك السن انت الآخر سوف تعرف معنى ما افعل .

ويجيبه ذاك في شيء من الضيق:

— انت تسقي الشجرة وترعاها يا ابي ، هذا امر لا يلومك عليه احد .. ولكنك تسرف في اهتمامك بها وتعرض نفسك لمخاطر انت في غنى عنها .

ويطرق الاب ثم يقول وهو ما يزال في اطراقته :

— في هذه الشجرة ، يا بني ، ارى ذاتي .. انها كياني .. كياني ذاته .. كلما بصرت خضرة اوراقها احسست بالعافية تنداح في عروقي .. هي التي تجعلني ادرك انني احيا .

— حسن جدا ، ولكن الا يرهقك هذا الاهتمام الكبير بها ؟

— لكم يسعدني ان اشقى من اجلها .. الا ترى اني اسهم في صنع حياتها ..؟ ثم هي بعد هذا رفيقتي عايشتها زمنا .. اجل هي رفيقتي .. شهدت مسراتي واحزاني طفولتي وصباي وشبابي .. لا ادري كيف تكون صورة العالم في نظري لو اني فقدتها ..

★

لو لم يحدث ما حدث ، لما كان في هذا كله ما يدعو الجوار الى عجب او دهشة .. ولكان من الممكن ان تسير الامور هكذا ما بقي « ابو معروف » على قيد الحياة ، ولكن العجب اخذ يساور اذهانهم حين لحظوا ان الشجرة ظلت تسقى كل يوم عقب احتلال العدو للمدينة .

كيف استطاع « ابو معروف » مواصلة ريها وسط كل الاخطار

المحدقة . الرصاص الحائم في الطرقات ليل نهار لا ينقطع .. قنابل النابالم .. شظايا القذائف المتناثرة ترشق الجدران وتغمر الساحات والشوارع .. حتى ابان الايام التي كان يحظر فيها التجول في المدينة على مدى اربع وعشرين ساعة ، ولايام عديدة متتالية ، حيث لا سبيل الى الخروج دون التعرض لخطر الموت المحتم .

في هذه الايام كان يطلب الى الرجال ، بمكبرات الصوت تحملها طائرات « الهيلكوبتر » ان يخرجوا الى الساحة العامة في المدينة او قرب النصب التذكاري للجندي المجهول ، رافعين ايديهم فوق رؤوسهم ، وعليهم ان يتجمعوا هناك خلال مدة اقصاها كذا دقيقة والا تعرضوا للقتل حيثما وجدوا .

ويخرجون.. يمرون بين صفوف من الجنود في الشوارع والقناصة فوق اسطحة المنازل .. اولئك يحملون هراوات في ايديهم يضربون بها من يمر امامهم فوق رؤوسهم او وجوههم او حيثما اتفق من اجسادهم .. وهؤلاء يصطادون برصاصهم ما شاءوا ومن شاءوا نوعا او عددا .. كل شيء مباح في مدينة غلبت على امرها .. القتل ليس اكثر من تسلية شيقة . الجنود يتبارون او يتراهنون على مدى القدرة على اصابة الهدف ، خاصة اذا كان الهدف حيا يتحرك .. انسان .. كائن بشري تجري في عروقه دماء الحياة .

رصاصة تنطلق بين فينة واخرى يسقط اثرها شاب او غلام صريعا او جريحا يحتضر .. يبقى حيث هو تنزف جراحه تحت لهب شمس تموز وآب .. يتلوى .. تجوب عيناه الارض والسماء طلبا لجرعة ماء قبل ان يفارق هذا العالم .. يتعذب .. يتألم .. يصرخ .. يذكر الحياة والاحياء .. الاهل والاصحاب والاعداء .. الظلم .. العدالة ثم يفارق الحياة وهم ينظرون اليه في غمرة من السعادة ، وسط هتافات صاخبة جذلة لمن كسب الرهان ..

ما عذر المتخلف ؟ مرض ؟ يموت اذن .. شيخوخة ؟ يموت كذلك .. نفذ التعليمات .. والا فالموت يطل بعد لحظات من فوهة مدفع رشاش يقتحم البيت .. قادر على التنفيذ او غير قادر لا يهم .. ومن الذي يحاسب على عدد الاموات ..؟ العدالة ..؟ امم متحدة ..؟ قانون دولي ..؟ من ..؟

يخرج « ابو معروف » كالآخرين رافعا يديه فوق رأسه مثلهم ..



يوسف جاد الحق

●

مهرولا في الشارع .. يرمق الشجرة وهو يمر من امامها بنظرة حنان .. بعينين تلتمع فيهما دموع الحزن والحب . يحس في اعماقه بانها باقية هناك في انتظار ان يعود اليها كيما يسقيها على الرغم من الرصاص الحائم في الطرقات ، والهراوات المشرعة فوق الرؤوس والرقاب .. « قطرة الماء تتغلغل بين جذورها اقوى من كل رصاصهم » .

حتى في هذه الظروف كانت الشجرة تسقى كل يوم .. ابان اليأس الذي عم اثر الهزيمة من كل شيء . كان الجوار يتساءلون : من اين يأتي « ابو معروف » بالماء سيما حين كان يقطع عن المدينة اياما عقابا لاهلها لانهم رفضوا تسليم فدائيين نسفوا محطة في « تل ابيب » او سوق خضار في « ريشون » او مستودعات الذخيرة في « يبنا » .

قالوا ان الرجل يختزن كمية من الماء من اجل الشجرة التي اصبحت اعز عليه من ابنائه . المسألة ان ابا معروف كان يؤمن بان الشجرة ستبقى خضراء رغم كل العواصف والاعاصير. فما الاعاصير والعواصف الا ظواهر موسمية لا بد وان تمضي بانقضاء مواسمها . والمهم ان يواصل هو سقي شجرته كيلا تذبل او تذوي .

يريد لها ان تظل جذورها ضاربة في الارض عمقا ، فروعها سامقة في السماء علوا ، وفي الافق امتدادا ..

★

آوى الناس الى بيوتهم في تلك الليلة المقمرة من ليالي آب منذ الغروب . بدت المدينة مقفرة الا من جنود الاحتلال يجوبون الشوارع في دوريات متلصصة حذرة . وفي داخل البيوت التي بدت من الخارج هادئة وديعة كانت براكين حقد تتفجر .. في بعضها شباب يدبرون خططا لضرب العدو هنا او هناك . وفي بعض اناس يتدربون او يدرسون الخرائط ، وفي بعض آخرون يطبعون منشورات تحض على تصعيد الثورة والتمرد .. المظهر الهادىء لوجه المدينة يخفي وراءه ثورة عارمة .

.. ويمضي الليل والصمت المتجهم يلقي ظلالا سوداء على كل شيء في المدينة الغافية بين احضان الامواج المرسلة هديرا غامضا موحشا ، تقطع الصمت من حين لآخر اصوات جنازير الدبابات ، او دوي انصاف المجنزرات ، او فحيح سيارات الجيب ، او طلقات رشاش

البدوي الملثم

أكذاك تخلف فيك ظن أخيكا ؟ ... أكــذاك تخذلني اذا ادعوكـا
أكــذا تودع ؟ لا تـرد رسالة ... مني اليـك ، ولا تجيب ألوكا
اخلفت ميعادي ومـا عودتنـي ... الا وفـاء خالصـا وسلوكـا
ما كنت ارجو ـ بعد طول توقعي ... نبـأ يروعنـي فافجع فيكـا
اني حسبتك غائبـا لمهمة ... مـا دار في ظني الردى وأبيكا
ما دار في خلدي نواك ، ولم يثر ... داعي المنون الـى حماك شكوكا
عجبا أيصرعك الحمام ولـم تكن ... الا حسامـا ماضيـا معروكـا
جلدا على الايام لـم اعهدك في ... احداثها متخـاذلا منهوكـا
ريـح البداوة انبتتك ممنعا ... لا شاكيا ضعفا ولا موعوكـا
واذا قضاء الله حم فلن تـرى ... ملكا اصاب السهـم أم صعلوكـا

يـا منصف الادباء مـن ايامهم ... يهنيك مـا قدمتـه يهنيكـا
أحصيت أعلام البيان فـلم تدع ... في الفكـر منسيا ولا متروكـا
وحفظت في الوطن المضيع معشرا ... أنزلهم في الرحب مـن ناديكـا
سجلت سيرتهم ، وصنت تراثهم ... مـن ان يعفيـه الزمان وشيكـا
حفل (الاديب) بهم سجلا حافلا ... بالطيبات ، ورفرفـا محبوكـا
ما كنت تبخل بالترحل سائـلا ... عـن هؤلاء القوم مـن ينبيكـا
فتعود مملـوء الوفاض مجمعـا ... مـلء اليديـن وثائقـا وصكوكـا
فتصوغ ذكرى الخالدين قلائـدا ... نشتام فيهـا تبـرك المسبوكـا
في منطق عف البيـان كسوتـه ... ثوبـا علـى نـول الجمال محوكـا
وبلاغة كالصبح تضحك وجههـا ... مثـل الربيع اذا أهـل ضحوكـا

واللـه كنـا نرتجيك مؤرخـا ... فطنـا ، وكنـا للعـلا نرجوكـا
لكـن اراد اللـه ان لا نلتقي ... ويعود حاضرنـا الـى ماضيكـا

القاهرة — محمد عبد الغني حسن

خمسمائة .. والصمت يعود ليطوي الزمان والمكان ويغلف حياة قطـاع من البشر بالاسى والآلام .. قطاع يحيا في معزل عن الدنيا بأسرها .. وحده يصارع وحوش الغابـة .. باسنانه .. باظافـره .. بصدره العاري .. بظهـره المكشوف .. تحدي لم يسمع الزمان بمثله ..

ولا يدري احد أي رشة من تلك الرشات التي سمعوها عند الفجر هي التـي مزقت جسد « ابـي معروف » . في الصباح راوه هناك تحت الاغصان الحبيبة المتماوجة مع النسمات القادمة من البحر وقـد تقلصت يداه على مقبض الدلو .. تنزف الدماء من الجراح .. تختلط بالماء والطين .. ويروي الشجرة دم ابي معروف .. فيما اخذت اوراقها تتمايل مع نسيم الصباح الذي بدا منذ مطلعه انـه سوف يكون يومـا صيفيا ملتهبا .

شيع الناس جثة ابي معروف.. مرت الجنازة امام الشجرة .. رنت اليها الاعين جميعا .. خرج الجوار ـ بحكم ما تعودوا ـ الى الشرفات يلقون بابصارهم نحو الشجرة ، وهم يحسبون انهم سوف يجدون الحفرة جافة في ذلك اليوم بعـد ان ذهب « ابو معروف » . ولكن على غير مـا توقعوا ، كانت الحفرة ملأى بالماء ، الشجرة كما كانت علـى الدوام ، خضراء الاوراق .. فروعها سامقة في السماء علوا وفي الافق امتدادا ، جذورها ضاربة في الارض اكثـر عمقا . ورأو نبيل يقف قريبا منهـا .. والدلو الفارغ في يـده يرمق الاغصان المتماوجة بنظـرة حـب خاشعة .

دمشق — يوسف جاد الحق

حق اليهود التاريخي في فلسطين؟

بقلم اسمى طوبي

* * *

منذ حوالي اربعة آلاف عام اي في القرن التاسع عشر قبل الميلاد جاء ابراهيم مهاجرا من بين النهرين الى فلسطين .. الى مدينة حبرون او الخليل اليوم . وكان سكان البلاد يومئذ هم الكنعانيون وقد اجمع المؤرخون على انهم عرب جاؤوا من شبه الجزيرة العربية وسكنوها قبل ان يكون هنالك تاريخ ... وعرفت باسمهم .. ارض كنعان .

وكان هنالك ايضا الفريق الثاني وهم الفلسطينيون الذين طبعوا اسمهم على البلاد منذ ذلك التاريخ السحيق او قبل ٤ آلاف عام من الان .. وتقول التوراة في سفر التكوين اصحاح ٢١ عدد ٣٤ هذه الكلمات « وتغرب ابراهيم في ارض الفلسطينيين اياما كثيرة » ثم تزاوج الكنعانيون مع الفلسطينيين واصبح المفرق الدولي الذي يوصل الشرق بالغرب يدعى فلسطين لا ارض كنعان .

جبابرة : وكان الفلسطينيون — حسبما يعرفهم المؤرخون — اذكياء شعارهم حلقة من الريش تشبه التاج على رؤوسهم .. وقد اشتهروا بالجبروت والبطولات حتى ان التوراة نفسها غالبا ما تذكر كلمة جبار بجانب كلمة فلسطين .

غرباء : وعاش ابراهيم وقرينته سارة في فلسطين ضيفان على اهلها لم يستطيعا ان يتملكا قطعة ارض واحدة ولو بطول ثلاثة امتار كما سنرى هذا مع انهما عاشا هناك عشرات السنين . وهاجر ابراهيم وسارة الى مصر ثم عادا الى فلسطين حيث كانا يعيشان ضيفين على اهلها من جديد ... ولا تملك .

وماتت سارة وعمرها ١٢٧ عاما .. وقام ابراهيم يندبها ويبكي عليها كما تقول التوراة .. ثم نهض ابراهيم من امام ميته وكلم بني حت سكان حبرون قائلا — وهنا بيت القصيد — قال ابراهيم كما هو مكتوب في سفر التكوين اصحاح ٢٣ عدد ٤ حرفا بحرف « انا نزيل وغريب عندكم .. اعطوني ملك قبر لادفن ميتي من امامي » .

وامام هذه الجملة تنهار كل الادعاآت التي تقول بحق اليهود التاريخي في البلاد .. رجل ضيف نزيل في ارض قوم يعيش فيها طوال حياته ولا يتملك ثلاثة امتار ليدفن فيها زوجته .

هجرة الى مصر : وتكاثر اليهود وتناسلوا في فلسطين ولكنهم لم يستطيعوا ان يتملكوا .. فلا هم حكام .. ولا هم مزارعون ومصدر الحياة في البلاد الزراعة .. وتقول التوراة في سفر التكوين اصحاح ٣٧ عدد هذه الكلمات « وسكن يعقوب في ارض غربة ابيه ارض كنعان » .

ويعقوب هو ابن اسحق .. واسحق ابن ابراهيم .. اذا وحتى احفاد ابراهيم لم يتملكوا قطعة ارض واحدة وهكذا جمعوا جموعهم اخيرا وذهبوا وراء يوسف الذي غدروا به وباعوه لتجار من مصر فلما نجح هناك ندموا على فعلتهم وتبعوه اليها .

القصة اياها : وعاشوا في مصر معززين مكرمين بعد ان قدم لهم الفرعون اخصب ارض في مصر اذ قال ليوسف في سفر التكوين اصحاح ٤٧ عدد ٦ هذه الكلمات حرفا بحرف . « ارض مصر قدامك في افضل الارض اسكن اباك واخوتك وان علمت انه يوجد بينهم ذوو قدرة فاجعلهم رؤساء مواش على التي لي » .

وكالمعتاد تكتلوا ضد الوطن الذي آواهم والا فلماذا يقول فرعون ثان هذه الجملة المذكورة في سفر الخروج اصحاح ١ عدد ١٠ التي قالها بعده كثيرون في مختلف ارجاء العالم .. « هؤلاء القوم اقوياء ويكون اذا هاجمنا عدو انهم ينضمون الى عدونا » .

وخرجوا من مصر عام ١٢٢٤ قبل الميلاد .. وتاهوا في البرية قصاصا من الله ٤٠ عاما ثم وصلوا الى حدود فلسطين .. وظلوا اربعين عاما اخرى وهم يدورون حولها ويناوشون وكلما احتلوا قطعة منها عاد الفلسطينيون وطردوهم وهكذا .. وتقول التوراة كتابهم ايضا في سفر القضاة اصحاح ١٣ عدد ١ هذه الكلمات « ودفعهم الرب الى ايدي الفلسطينيين ٤٠ سنة » .

جبابرة التاريخ اجدادنا : وفي اكثر من مكان في التوراة — وشهادة من عدو — تقرا هذه الكلمات .. الفلسطيني الجبار .. والفلسطينيون متسلطون علينا .. وخاف الاسرائيليون من الفلسطينيين — ثم هذه الاسطر في سفر صموئيل الاول اصحاح ١٣ عدد ٥ « وتجمع الفلسطينيون لمحاربة اسرائيل ٣٠ الف مركبة وستة آلاف فارس وشعب كالرمل الذي على شاطىء البحر في الكثرة » .

ويوم قتل جوليات الجبار ملكهم شاوول قالت التوراة في سفر صموئيل الثاني اصحاح ١ عدد ٢٠ هذه الكلمات « لا تخبروا في جت لئلا تشمت بنات فلسطين» .

ذكاؤهم : وكان اجدادنا عدا بطولاتهم اهل ذكاء غريب .. وتقول المؤرخة الامريكية الين بتي في كتابها الذي اسمته « ازيلوا اسرائيل » صفحة ٥٢ هذه الاسطر « باستطاعتنا في الواقع ان نفخر بمنشئي الحضارة هؤلاء اذ انهم اكتشفوا من غير معرفة سابقة تهديهم سواء السبيل .. اكتشفوا النحاس اللين حوالي عام ٤٠٠٠ قبل الميلاد .. وتعلموا خلال الالف عام التالية كيف

خلف جدار الظن

وأبحث عنك عن عينيـ ... ك عما عاش في ظني
وعن دنيا الوذ بها ... تحدث عنك او عني
وعن آثار رحلتنا ... وعما قد بدا مني
تحدث اننا جئنا ... عركنا تربة الكون

أجل يا سيدي للحب أبحث عنك في قومي
عن الوجه الذي أرضي ... بـه الماضين في لومي
وارضى ان اعيش له ... وان يوهى له عزمي
له ما كان من امسي ... وما يأتي به يومي

أجل يا سيدي للحب عادية أتيت اليك
رعيت الشك في دربي ... سكبت العمر بين يديك
أيبقى الباب مردودا ... اوهم انت يا لبيك
وينهار الجدار .. أجل ... وابحث عنك عن عينيك

دمشق ... **سلافة العامري**

يجمعون بين النحاس والصفيح لينتجوا البرونز الجميل وهو اكتشاف قد يكون اهم بالنسبة الى العالم في ذلك الوقت من انفلاق الذرة الينا اليوم ذلك لانه ادخل علم التعدين واعطى هذه الشعوب البدائية ادوات واسلحة قاسية حادة لا تكاد تبلى » .

صناعة : وقد صنع اجدادنا منذ ذلك التاريخ السحيق اسلحة للقتال وتفردوا بهذه الصناعة وغيرها .. واحتفظوا بها سرا لا يكشفونه لاحد .. وتقول التوراة توراتهم في سفر صموئيل الاول اصحاح ١٣ عدد ١٩ هذه الاسطر « ولم يوجد صانع في كل ارض اسرائيل لان الفلطسنيين قالوا لئلا يعمل العبرانيون سيفا او رمحا بل كان كل اسرائيلي ينزل الى الفلسطينيين لكي يحدد سكته ومنجله وفأسه » .. فتصور .

واخيرا .. وقبل الميلاد ب ١٠٠٠ عام .. وبعد خروجهم من مصر ب ٢٢٤ عاما احتلوا فلسطين بالدسائس والخديعة كقصتهم مع راحاب الزانية التي يذكرونها في التوراة بفخر .

عدد السنين التي ملكوا بها : وجلس داوود على عرش المملكة ٤٠ سنة منها سبع سنوات كملك من ملوك المدن في حبرون فقط و٣٣ سنة في بيت المقدس ولم تهدأ المناوشات بينه وبين الفلسطينيين طوال مدة حكمه .. وجاء سليمان ابنه فجلس على عرشه ٣٣ عاما .

ومات سليمان فنشب الخلاف بين ولديه وانقسمت المملكة بسرعة .. ثم جاء الاشوريون فخربوا المملكة .. فالبابليون فاحرقوا الهيكل وقضوا على اليهود واخذوا من تبقى منهم اسيرا ليبكي على انهار بابل .

ومنذ ذلك التاريخ وهم يحاولون ان يتجمعوا في فلسطين .. وكلما تجمعوا تكتلوا واقاموا من نفوسهم حكومة داخل حكومة كما فعلوا في عهد الرومان فتنتقم منهم الحكومة القائمة وتهدم المدينة المقدسة وهكذا الى ان وصلنا اليوم الى مرحلة جديدة لن تدوم لان التاريخ يعيد نفسه دائما .

وبعد فاين حقهم التاريخي في فلسطين ..؟ ترى لو ان كل دولة احتلت بلادا ما لمدة ٧٣ عاما تقوم اليوم لتدعي ملكيتها لتغيرت خريطة العالم الف مرة .. ووقع الناس في مشاكل لا حل لها .

اما نحن فلنا فعلا حق تاريخي في فلسطين .. وحقنا يعود الى ما قبل اربعة آلاف عام يوم جئناها كنعانيين من شبه الجزيرة العربية وسكناها . وحقنا يعود الى ما قبل اربعة آلاف عام يوم طبعنا اسمنا على البلاد فاصبحت فلسطين للفلسطينيين .

ولنا بعد ذلك تاريخ العرب اجدادنا يوم تملكوا فلسطين وفتحوا القدس سلما منذ ١٣٠٠ عام ونيف . ولنا بعد ذلك حروبنا مع الصليبيين وقد سفكنا من دمائنا انهارا خلال حوالي ١٠٠ عام حتى ذهبوا . فاين حق ٧٣ عاما التاريخي من حقنا هذا ؟

أليس هنالك من يفهم الغرب المغمض العينين هذه الحقائق ؟

الرابية ـ لبنان ... **اسمى طوبي**



محمـد العدناني

معجم الاخطـاء الشائعـة

بقلم محمـد العدناني

***

طـرق

ويجمعون (طريقة) على طرق (بضم فضم) . والصواب : طرائـق او طريق . وطريقة الرجل : مذهبه او اسلوبه . اما الطرق (بضم فضم) فهي جمع طريق (وهو السبيل) .

وهنالك جموع أخرى لطريق ، هي : أطرق (بضم الراء) واطرقة (بكسر الراء) واطرقاء . اما جمع الجمع فهو : طرقات .

طرقنا صباحا

ويقولون : طرقنا فلان صباحا . والصواب : صبحنا (بتشديد الباء) فلان ، لان معنى طرقه يطرقه (بضم الراء) طرقا (بفتـح فسكون) وطروقا (بضم الطاء) : اتاه بالليل (مجاز) .

طفل ومليون امراة

ويقولون : ان طفلا ومليون امراة يقمن في هذه المدينـة . والصواب : ان طفلا ومليون امراة يقيمون في هذه المدينة ، لان ذكرا واحدا ـ ولو كان طفلا ـ يتغلب في اللغة العربية على ملايين الاناث . وتحذو اللغة الفرنسية حذو اللغة العربية في هذا التمييز المجحف بحق حواء .

طلب منـه الشيء

ويقولون : طلب منه الشيء . والصواب : طلب اليـه الشيء ، اي : رغب فيه . ويقال : طلب الي فاطلبته ، أي اسعفته بما طلب .

طالع في الكتاب

ويقولون : طالع في الكتاب . والصواب : طالع الكتاب ، او اطلع عليه. وطالع ضيعته : نظرها (مجاز) .

وطالعه بحقيقة الامر : أطلعه عليه (مجاز) .

لا يفارقـه اطلاقـا

ويقولون : لا يفارق احدهما الآخر اطلاقـا . والصواب : لا يفـارق احدهما الآخر أبدا ، أي : دهرا .

اما الاطلاق فهو من الفعل (اطلق) ، الذي يعني :

١ ـ أطلق المرأة : طلقها .

٢ ـ أطلق المواشي : سرحها وارسلها الى المرعى .

٣ ـ أطلق الاسير : خلى سبيله .

٤ ـ اطلق يده بخير : فتحها به .

٥ ـ أطلق عدوه : سقاه سما .

٦ ـ أطلق نخله : لقحه .

٧ ـ أطلق القوم : طلقت ابلهم (انحلت من عقالها) .

٨ ـ أطلق المتكلم في الكلام : عمم دون تقييد .

٩ ـ أطلق الناقة : ساقها الى الماء .

١٠ ـ أطلق رجله (بكسر الراء) : استعجله .

١١ ـ أطلق الدواء بطنه : مشاه .

١٢ ـ أطلق خيله في الحلبة : اجراها .

انطلت الحيلـة

ويقولون : انطلت عليه الحيلة . والصواب : جازت عليه الحيلة ، لان الفعل المطاوع (انطلى) لا وجود له في المعاجم .

حديثـه طلي

ويقولون : حديثه طلي (بفتح فكسر فتضعيف) . والصواب : في حديثه طلاوة (ويجيز الزمخشري وابو عمرو والفيروز ابادي تثليث الطـاء ، ويفضل ابن سيده والجوهري الفتح والضم ، اما الازهري فيؤثر ضم الطـاء) .

والطلاوة هي الحسن والبهجة والقبول . ولها معان اخرى ، هي :

١ ـ الطلاوة : ما يطلى به الشيء .

٢ ـ الطلاوة (بضم الطاء) والطلاوة (بكسر الطاء) والطلا (بفتح الطاء) والطلوان (بفتح الطاء واللام) والطلوان (بضم فسكـون) : الريق يتخثر ويجف على الفم من عطش او مرض او جوع . اما الطلي (بفتح فكسر) فمعناه :

١ ـ الصغير من أولاد الغنم .

٢ ـ المحبوس . وهو طلي (بفتح فكسر فتضعيف) ومطلي (بفتح فسكون فكسر فتضعيف) .

٣ ـ قلح (بفتح ففتح) في الاسنان . (القلـح : صفرة تعلـو الاسنان) .

نفس طموحة

ويقولون : فلان ذو نفس طموحة . والصواب : طامحة ، لان العربيـة ليس فيها طموح (بفتح الطاء) بهذا المعنى . وفي المعاجم : فرس طموح البصر ، أي : مرتفعه . والفرس الطموح والطماح هـو الذي يركب رأسه في عدوه رافعا بصره .

ولو لجانا الى المجاز ، لقلنا : فلان ذو نفس طموح ، اي : مرتفعة. ولا يجوز ان نقول : طموحة ، لان فعولا بمعنى الفاعل يستوي فيـه الذكر والمؤنث مع ذكر الموصوف .

وفي اللغة : طمح (بفتح الميم) في الطلب : ابعد ، فهو طامـح .

ويقولون : طمح بصري اليه : امتد وعلا .
والطماح هو : الشره .

طنطلة الحلق

ويسمون اللحمة المتدلية من القسم الاعلى الخلفي للحلق : طنطلـة (بضم فسكون فضم) الحلق . والصواب : طلاطلة (بضم الطاء الاولى وكسر الثانية) الحلق . وقد تكـون الطلاطلة سقوط اللهاة ، حتـى لا يسوغ معه طعام او شراب .

يطهي اللحم

ويقولون : فلان يطهي اللحم . والصواب : يطهو اللحـم او يطهاه ، أي : يعالجه بالطبخ او الشي .

وهو من الفعل : طها يطهـو ويطهى (بالالف المقصورة) طهـوا (بفتح فسكون) ، وطهوا (بضم فضم فتضعيف) وطهيا (بضم فكسر فتضعيف) وطهاية (بفتح الطاء وكسرها) وطهيا (بفتح فسكون) .

والطاهي : الطباخ او الشواء او الخباز . والجمع : طهاة وطهي (بضم فكسر فتضعيف) وطاهون . وهي طاهية وهن طواه وطياهيات.

وقد حكى ثعلب عن ابن الاعرابي : طهى طهيا : اذنب .

نموذجات من حرف الظاء

الظـرف

ويقولون : فلان جم اللطف والظرف (بضم فسكـون) . والصواب : فلان جم اللطف والظرف (بفتح فسكون) . ومعناه :

١ ـ الوعاء مطلقا . ومنه : ظرفا الزمان والمكان عند النحويين .
٢ ـ الكياسة وذكاء القلب .
٣ ـ الحذق بالشيء ، او حسن الوجه والهيئة .
٤ ـ الظرف في اللسان : حسن العبارة والبلاغة .
٥ ـ رأيت فلانا بظرفه : بعينه .

قال الراغب الاصفهاني (الحسين بن محمـد) : الظرف اسم لحالة تجمع الفضائل النفسية والبدنية والخارجية .

اما الظرف (بضم الظاء) فلم ترد في المعاجم .

تظاهرة سلمية

ويخطئون من يقول : قام الطلاب بتظاهرة سلمية ، وهـذا ليس خطأ ، لان تظاهر تعني : (١) ظهر ، ولا بد لمن يقوم بتظاهرة مـن الظهـور للناس . (٢) تعاون ، ولا تنجح تظاهرة ، لا يتعاون فيهـا المتظاهرون بعضهم مع بعض .

ويجوز ان نسميها (مظاهرة) أيضا ، لان معنى ظاهره : عاونـه (أيضا) . والسبب الذي حملهم على التخطيء هو ان مـن معاني : تظاهر القوم = تباعدوا وتدابروا كان كل واحد منهم ولى ظهره الـى صاحبه ، ولن تنجح تظاهرة يدير فيها الواحد ظهره الـى الآخـر ، وفاتهم ان الفعل (تظاهر) يحمل معنى الظهور والتعاون ايضا .

وجاء المعجم الوسيط فقال : تظاهروا : تجمعوا ليعلنوا رضاهـم او سخطهم عن امر يهمهم (محدثة) . وقال عن المظاهرة : اعلان رأي او اظهار عاطفة في صورة جماعية (مجمع اللغة العربية بالقاهرة) .

ظهـر البيـدر

ويقولون : ظهر البيدر وظهور الشوير . والصواب : ضهـر البيـدر وضهور الشوير وضهر التل ، لان معنى (ضهر) هو : أعلى الجبل .

وظهر كل شيء يكتب بالظاء الا ما يخص الجبل او التل ، فانـه يكتب بالضاد .

بين ظهرانيهم

ويقولون : يقيم بين ظهرانيهم (بكسر النون) ، والصواب : يقيم بين ظهرانيهم (بفتح الظاء والنون) ، أي بينهم وفي وسطهم .

وكل ما كان في وسط شيء ومعظمه فهو بين ظهرانيه ، وظهريـه (بفتح فسكون ففتح) ، واظهره (بفتح فسكون فضم) بمعنى واحد ، وهي كلها من المجاز .

قال شهاب الدين الآلوسي في كتابه « كشف الطرة عن الغرة » : ان اقحام الظهر ليدل على ان اقامته فيهم على سبيل الاستظهار بهم ، والاستناد اليهم . « ثم كثر حتى استعمل في الاقامة بين القوم مطلقا »،

ويقال : رأيته بين ظهراني الليل ، أي : بين العشاء الى الفجر.

ويقال : لقيته بين الظهرين والظهرانين ، أي : في اليومين او الثلاثة او الايام التي سبقت يومنا هذا .

نموذجات من حرف العين

يعتبر من الشعراء

ويقولون : فلان يعتبر من الشعراء المجيدين . والصواب : فلان يعد في الشعراء المجيدين ، او في عدادهم ، او منهم .

أما الفعل (اعتبر) ، فمن معانيه :

١ ـ استدل على الشيء بالشيء .
٢ ـ اعتبر منه : تعجب .
٣ ـ اعتبر به : اتعظ . وقد جاء في الآيـة الثانية من سورة الحشر : « فاعتبروا يا أولي الأبصار » . أي : اتعظوا بما نزل بقريظة والنضير ، فقايسوا فعالهم ، وانظروا العذاب الذي حل بهم .

العوابس

ويخطئون من يجمع صيغة (فاعل) ، اذا كانت وصفا لمذكر عاقل ، على (فواعل) مثل : عابس = عوابس . ويستثنون بضـع صفات مثـل فارس : فوارس ، شاهد : شواهـد ، ناكس : نواكس ، هالـك : هوالـك .

والحق ان صيغة (فاعل) تجمع قياسا على (فواعـل) ، سواء أكانت تلك الصيغة صفة للمذكر العاقل ام لغير العاقل . وسبب ذلك ان بعض الباحثين المعاصرين ، عثر على جموع كثيرة جاوزت الثلاثين ، في كلام فصيح يعتمد على قائليه ، وكل واحد مـن تلك الجموع هـو وصف لمذكر عاقل ، مثل : سابق وسوابق ، سابح وسوابـح ، حاسر وحواسر ، قارئ وقوارئ ، كاهن وكواهن ، عاجز وعواجـز ، غائب وغوائب ، رافد وروافد .

وقبل ذلك وقف صاحب خزانة الادب عند قول الفرزدق :

واذا الرجال رأوا يزيد ، رأيتهم   خضع الرقاب ، نواكس الابصار

وعرض امثلة من هذا الجمع (نواكس) ، جاوزت العشرة .

وقد ذكر التاج في مادة (القرآن) ما نصه :

« قواريء (كدنانير) ـ وفي نسختنـا : قوارئ (كفواعـل) ، وجعله شيخنا من التحريف . قلت : اذا كان جمع « قارئ » فـلا مخالفة للسماع ولا للقياس ، فان فاعلا يجمع على فواعل » .

من هذا نستنتج ان كل وصف لمذكر عاقل على صيغة (فاعـل) يجوز جمعه على (فاعلين) لانه الافضل ، وعلى (فواعل) لانه فصيح أيضـا .

أعتـاب

ويقولون : يريق ماء وجهه على اعتاب الحكـام . والصواب : على عتباتهم او عتبهم (بفتح ففتح فيهما) . والعتبة (بفتح ففتح) هـي المفرد ، ومعناها : أسكفة الباب التي توطا ، وقيل العتبة العليـا .

ولكن مجمع مصر ، في جدوله رقم ١٠ خصصها بالجزء الاسفل مـن الباب ، وهو موطىء القدم ، تقليلا للاشتراك ، ومرادفا بالفرنسية كلمة Seuil ، وبالانكليزية كلمة Threshold

صيدا ـ لبنان   محمد العدناني

الصورة ذات الزوايا

نجد على الدنيا .. ويجهدنا السير   فطورا يني عمر .. وطورا يفي عمر
كأن خطانا اللاهثات مطية   على التيه في البيداء أسلمها الذعر
شمالا .. يمينا .. لا ترى أي وجهة   تسير .. فما حول لديها .. ولا امر
تكاد اذا ما ألقم السير خطوها   على رعشة الاجهاد ينقصم النحر
لكم جاء فجر .. وانتهى عند حده   ليخلفه ليل .. ويعقبه فجر ..
دواليك دنيانا .. ضياء .. وظلمة   ونحن لها شفع .. ونحن لها وتر
لنا رقصة في الحب جن جنونها   لنا رقصة في الحرب موئلها القبر

واقسى ضروب القتل ان يولد الفتى   وفي فمه قيد .. وفي سمعه وقر
اذا ما صحا يوما على صوت ناحب   تقمصه صمت البلاهة .. والنكر
وشر مذاق ان يرى المرء حسه   وليس له حلو .. وليس له مر
تمر به الاشياء دون التفاتة   اليها .. أعسر مر أم انه اليسر
ينازعه سكر الموات ... ودونه   على كفة الميزان ما يصنع الخمر

عجبت لبحار غفا غير عابيء   أمد مضى بالركب للبعد ، ام جزر
كأن رؤى الدنيا لديه طلاسم   تموج .. فما الوانها البيض والحمر
تمهل رفيق الدرب ان مطينا   بلا صولة تمشي يهدهدها القفر
كان خطاها اللاهثات قدائد   من الليل مدت حين مزقها البدر
كان المطي الشاحبات على الطوى   وفوق رمال البيد يصهرها الحر
على الدرب اثباجا تناطح بعضها   ليصرعها يم .. ويبلعها قعر

أكاد على الايام المح صورتي   وليس بها سر .. فما صورتي سر
(حياة.. وموت).. (دمعة..وابتسامة..)   (عطاء .. واخذ) . (خانع. وفتى حر .)

تجللها الاحزان طورا .. وتارة   تكالها البشرى فيخدعها البشر
وعين غشاها الليل فهي كليلة   واخرى غشاها الصبح محورها در
وحس له في ظلمة الوهن هجعة   وحس على مرماه ينهتك الستر
رنوت الى نفسي . ونفسي كئيبة   أسائلها .. فيم اللجاجة . والقسر
أزيد على دنياك يهوى بمخلب   أعمرو على دنياك ؟ يا ويحه عمرو
فلا انت يا نفسي .. ولا الناس انصفوا   عويل له شر ، وصمت له شر
تعيشين ظمأى الروح . والنهر دافق   لديك .. وما في فيضه بخل النهر
ولكن جوع الجوع يأبى انطفاءه   وقد جاء زاد الروح مستضعف نزر

واعجز ما في الامر ان يستكينني   ضميري فما يرقى .. وينهره الشعر
فيودعني حملا انوء بثقله   له في حنايا الصدر آه . له زجر
وزاوية كالحب .. لذت بفيئها   يؤرجني في ظلها السحر . والعطر
كأن انسياب الماء في جنباتها   قلائد .. ضمتها مفاتنها الخضر
شباب ، واحلام . قلوب بريئة   على نغم اللقيا ، يواكبها الطهر .

لك الامر يا الله (حكما) . و (حكمة)   لك (الملك)و(النعمى) لك (الحمد)و(الشكر)

سعد البواردي

اسعاف النشاشيبي - هاشم باغي

عبد الرحمن باغي - يوسف زعبلاوي

بقلم الفقيد البدوي الملثم

* * *

١ ـ اسعاف النشاشيبي

كنية « اسعاف » في صدر شبابه « ابو الفضل » واللقب الذي صحبه « اديب العربية » والشهادة التي جاهر بها المربي خليل السكاكيني ، تنويها بادب (اسعاف) وبتضلعه من اللغة العربية قوله « ان اسعافا هو معجم « لسان العرب » يمشي على قدمين ! » .

ولد (اسعاف) في بيت المقدس عام ١٨٨٢ ، ودرج في بيت رفيع العماد ، سياجه الثراء ، منذ جاء فلسطين أحمد بن رجب النشاشيبي، جد الاسرة النشاشيبية ، واحد رجال الملك الظاهر جقمق ، والتحق (اسعاف) بكتاتيب القدس ، وبعد ان اكمل دراسته الابتدائية حمله والده عثمان النشاشيبي ، وله من العمر اثنتا عشرة سنة ، الى « دار الحكمة » في بيروت وتتلمذ للشيخ عبد الله البستاني ، وامضى في هذا الصرح العلمي ثلاث سنوات ثم : « لا مدرسة من قبل .... ولا مدرسة من بعد .. ! » على حد قوله ، وكان من زملائه فيها الامير شكيب ارسلان .

وفي « دار الحكمة » تاثر (اسعاف) باستاذه الشيخ عبد الله البستاني الذي توسم فيه النجابة والانكباب على درس العربية ، والعب من معينها العذب ، فطبعه البستاني بطابعه اللغوي ، فكان من أعلم علماء العصر بها ، ومن اطولهم باعا في أدبها ، ومن اشدهم رعاية لها ، وحرصا عليها .

وقبل اعلان الدستور عاد (اسعاف) الى بيت المقدس ، يقرأ ويكتب وينظم ، « وحاول ان يتصل بالطبقة المثقفة في ذلك الزمان وقد تخرجوا في ما كان في زمانهم من المدارس الاجنبية ، الافرنسية او الانكليزية وتولوا اعمالا مختلفة ، فمنهم من أعجب به وقابله بالتشجيع، ومنهم من تبرم به فلم يعره جانب الالتفات ، اما انا فشجعته واثنيت عليه فلزمني في ليله ونهاره .

ثم وقعت خصومة شديدة بينه وبين أبيه ، وكان أبوه قد كتب جانبا كبيرا من املاكه على اسم ولده ، وكان ينتظر ان يكون ولده من رجال الاعمال يحافظ على املاكه ويستثمرها ، فوجد انه قد تعلق بالادب ، والادب لا يغني ولا يسمن . وفي اذت يوم بلغه ان ولده باع قطعة ارض في يافا ، فثار جنونه وطلب من البوليس ان يفتش عنه ويلقي القبض عليه ، الى ان ظفر به في باب الخليل ، فهرب الولد فتبعه الاب والبوليس وامسكوه في السوق الجديدة ، فتجمع الناس ، وذهبنا نحن اصدقاء الولد الى مكان الحادث لعلنا ننقذ الولد او نترضى الاب ولكن على غير جدوى . وكان الولد يصيح « أتضرب يا عثمان فخر بلادك ؟ » ثم ركب الاب بغلته وجعل يخاطبني : « يا سكاكيني ! اهذه آخرة من يقرأ مقدمة شميل ؟ » يعني مقدمة كتاب شميل على مذهب دارون !

قضى اسعاف اياما غير قليلة في السجن ، وكنا لا ننقطع عن زيارته ونطيب خاطره ، ولكن تمكن الحقد في صدره على ابيه .

ثم أعلن الدستور فانتفضت الامة وزال القبر والكفن واقبلت على الحياة . وكنت قد سافرت الى اميركا فلما اعلن الدستور رجعت الى القدس وعاد اسعاف الى ملازمتي في الليل والنهار ، وجعلنا نكتب ما توحيه الظروف ، وجاء المرحوم حنا العيسى من يافا الى القدس ، وهو من النبل وعزة النفس على جانب عظيم ، فانشا مجلة «الاصمعي» ولنا فيها مقالات كثيرة . وكنا نحن الثلاثة على اتصال مستمر ، وكان اسعاف مولعا ببديع الزمان الهمذاني ينسج على منواله في كتابته ، وكنت انا مولعا بأبي الطيب المتنبي ، وكان حنا العيسى مولعا بالاصمعي ، فتوزعنا كنى هؤلاء الثلاثة ، اما اسعاف فكنيناه أبا الفضل ، واما انا فكان نصيبي كنية المتنبي وهي ابو الطيب ، واما حنا العيسى فكنيناه أبا سعيد وهي كنية الاصمعي ، وعرفنا من ذلك الحين بهذه الكنى وشاعت على الالسنة » (« كذا انا يا دنيا » لخليل السكاكيني) .

وفي الحرب العالمية الاولى عين اسعاف استاذا للعربية في « الصلاحية » التي انشأها القائد التركي أحمد جمال باشا في بيت المقدس واختار لادارتها المرحوم رستم حيدر ، ومن زملائه المدرسين فيها الشيخ عبد العزيز شاويش والمرحوم خليل السكاكيني .

واختار اسعاف قطعة ارض تطل على الطريق العام وشيد قصرا شرقي السمات ... في حي الشيخ جراح بالقدس وزين ابهاءه بامهات الكتب ، واقبل على هضمها واستظهار روائعها ، وعلق على هوامشها تعليقات دلت على غزارة علمه ، وسعة اطلاعه .

« كان واسع الاطلاع ، ومكتبته لا تشبهها مكتبة ، لم يقتن الكتب ليزين بها قصره ولكن ليبحث ولينقب ، وقد كانت مجالسه أجمل المجالس . لم يلقه احد الا استفاد منه .

لم يطلب العلم لاستثماره والاستفادة منه ، ولو فعل لكان من كبار الاغنياء ، ولكنه كان يطلب العلم لاجل العلم ، وقد كان رحمه الله بازاء علمه وفضله وافر المروءة يشرك الكثيرين في طعامه المتواضع ايام بؤسه وفي ولائمه الفاخرة ايام سعته ويؤثرهم على نفسه .

كان بيته كعبة القصاد لا تزوره الا وجدت فيه كثيرين من اهل العلم والفضل يتجاذبون البحث في هذا الموضوع او ذاك ، وكان اذا تكلم كانه يغرف من بحر .

ومما امتاز به رحمه الله انه كان استاذ نفسه وان كان حريصا على الاعتراف بفضل اساتذته » . (« كذا انا يا دنيا » لخليل السكاكيني) .

ولكن هذه المكتبة القيمة اطبق عليها من لاخلاق لهم في نكبة سنة ١٩٤٨ ، عندما اجتاح بعض المرتزقة احياء القدس العربية ، زعما منهم انها « احياء يهودية ! » فنهبوا مكتبة اسعاف ، وحملوها الى مدينة الزرقاء بالاردن وباعوها على مشهد مني بالرطل ... لاصحاب الافران، فذهبت طعمة للنيران !

بعد ان سكنت نامة الحرب العالمية الاولى ، وابتليت فلسطين بالاستعمار البريطاني الذي فرض عليها قسرا ، تمهيدا لتهويدها ، وتقديمها على طبق من ذهب « لليهودي التائه » عين اسعاف مديرا للمدرسة الرشيدية في بيت المقدس ، فمفتشا للغة العربية في ادارة المعارف العامة ، فنظم المدارس الاميرية واصلح التعليم ، وجدد المناهج، واقبل على الصحف الادبية الفلسطينية يملأ صفحاتها بالوان زاهية من ادبه شعرا ونثرا ، ونشر فصولا ادبية طريفة في بعض صحف سوريا ومصر ، وساهم سنة ١٩٢٧ في مهرجان احمد شوقي ومبايعته على امارة الشعر العربي ، وكان موضع تقدير واعجاب زعيم مصر الراحل سعد

زغلول . واختاره اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق عضوا في هذا المجمع .

وفي سنة ١٩٣٠ استقال اسعاف من عمله في معارف حكومة فلسطين ، وعكف على كتبه ، وقام برحلات سنوية الى مصر والشام ، ومنذ سنة ١٩٣٧ حتى ١٩٤٧ واسعاف ينشر فصولا مسلسلة نفيسة على صفحات مجلة « الرسالة » القاهرية تحت عنوان « نقل الاديب ».

وفي عام ١٩٤٧ ، العام الذي تآمرت فيه الدول الغربية على فلسطين ، وقررت تقسيم الاراضي المقدسة عنوة واقتدارا ، هاجر اسعاف الى القاهرة ونزل في فندق الكونتننتال ، وفي كل امسية كان ينتظم اهل القلم في نديه ، فيطوف عليهم برحيق ادبه ، ورشحات قلمه . وفي هجرته هذه الى الكنانة حمل من بيت المقدس مخطوطة كتابه « الامة العربية » للاشراف على طباعته ، لكن مرضه حال دون اخراج هذا الكتاب النفيس ، وفقدت اصوله بعد وفاته .

وظل ندي اسعاف يعج برجالات مصر والشرق العربي الى ان فاضت روحه في ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٨ . وفي مصاب العروبة باسعاف يقول احمد حسن الزيات صاحب مجلة « الرسالة » :

« أهكذا ، وفي اسرع من رجع النفس يسكت اللسان الذليق ، ويسكن العصب الثائر ، ويخمد الذهن المتوقد ، ويقف الفؤاد الذكي ، ويصبح النشاشيبي نعيا في الصحف ، وخبرا في البلاد ، وحديثا في المجالس ، لا يقول فنسمع ، ولا يكتب فنقرأ !

سبحانك يا رب ، شعاع آرسلته ثم رددته ، وروح بثثته ثم استعدته ، وظل بسطته ثم قبضته ، ولواء رفعته ثم خفضته ، وبنو آدم العاجزون الضعاف لا يملكون امام امرك البادي ، وسرك المكنون الا ان يشكروا على العطاء والاخذ ، ويحمدوا على المحبوب والمكروه !.

النشاشيبي لم يكتب للشهرة والمجد ، وانما كان يكتب للعصبية والعقيدة ، أخلص لله فاخلص لقرآنه ، واولع بمحمد فاولع بلسانه ، فاذا جلس الى الناس في القدس أو في دمشق او في القاهرة كان مجلسه ندوة علم وادب وفكاهة ، لا تذكر مسألة الا كان له عنها جواب ، ولا تثار مشكلة الا اشرق فيها رأي ، ولا تروى حادثة الا ورد له عليها مثل، ولا يحضر ندوته أديب مطلع الا جلس فيها جلسة المستفيد ! »

وانهى الزيات حديثه عن النشاشيبي بقوله :

« ... وكان النشاشيبي جاد الله بالرحمة ثراه رجلا وحده في الاسلوب والخط والحديث والتحصيل . اسلوبه عصبي ناري تكاد تحس الوهج من الفاظه وتبصر الشعاع من مراميه ... وحديثه نبرات قوية تبرز الالفاظ وحركات سريعة تمثل المعاني وانفعالات شتى تتعاقب على قسمات وجهه واصابع يديه ، وتحصيله عجب من العجب لا تستطيع ان تذكر له كتابا من كتب العربية لم يقرأه ولا بيتا من شعر الفحول لم يحفظه ، ولا خبرا من تاريخ العرب والاسلام لم يروه ولا شيئا في قواعد اللغة ونوادر التركيب وطرائف الامثال لم يعلمه ، فهو من طراز ابي عبيدة والمبرد ، ولذلك كان اكثر ما يكتب تحقيقا واختيارا واماليّ ، ثم كان الى كل ذلك متواضع النفس ، فكه الاخلاق ، لطيف الروح ، نفاح اليد ، عفيف اللسان ، مأمون المغيب ، لا يتعزز بحسبه، ولا يطاول بماله ، ولا يفخر بشيء مما يمتدح به الناس الا بالانتساب الى العرب ، والانتماء الى محمد ... انه خاتم طبقة من الادباء اللغويين المحققين لا يستطيع الزمن الحاضر بطبيعته وثقافته ان يجود بمثله ، فمن حق المحافظين على التراث الكريم ، والمعتزين بالماضي العظيم ، ان يطيلوا البكاء على فقده ، وان يرثوا لحال العروبة والعربية من بعده ! » .

والذين عاصروا اسعافا ووصلوا حبلهم بحبله يطرون وفاءه للاوائل ، ويشيدون باندفاعه في سبيل احياء امجاد العرب وتراث الاسلام والمشاركة في الاحتفال بذكرى (حطين) وفي تابين الثائر الاول الحسين بن علي ، وفي اربعين اخوانه الغلاييني والبستاني والريحاني وشوقي ، وفي العيد الالفي لابي الطيب المتنبي !

وتقديرا لادب « ابي الفضل » اطلقت وزارة التربية والتعليم الاردنية اسم « اسعاف النشاشيبي » على مدرسة اميرية في بيت المقدس .

نماذج من نثره : وفي حفلة تابين احمد شوقي القى اسعاف خطبة بعنوان « قلب عربي وعقل اوربي » جاء فيها على ذكر اللغة العربية فقال :

« ... وهذه العربية التي هيمنا – أيها العربي – حبها ، وليس ثمة عادل ، وعبدناها ولا يعيب عبادتها عندنا الا جاهل ، لن يثبت في هذا الكون حولها ، ولن ينتقل في « دار الندوة » يوم القول قولها ، الا اذا عرفت هذه المدنية الغربية ، والعربية كالغربية ربة مدنية وحالها بصحبة المدنيات مشتهر . فانها لما ظعنت عن جزيرتها لاقت في طريقها المدنية الاغريقية ، فما صعرت عنها خدها ، ولا تعبست ، وما ادلت بفضلتها (وانها لذات فضلة) ولا تعجرفت ، واستيقنت بانها اعلم منها ، فاطالت الجثوم بين يديها ، وحدثت عنها ! » .

وفي كتابه « العربية وشاعرها الاكبر احمد شوقي » يقول اسعاف عن مصر :

« الا ان محمدا وذكر محمد وقرآن محمد ولغة محمد وعربية محمد وادب محمد كل ذلك لن يزول ، وكل ذلك لن يبيد وفي الدنيا مصر ! » .

وكان فيلسوف الفريكة امين الريحاني من صفوة اخوان اسعاف ، واشد المعجبين بادبه ، وكتب اليه مرة يقول :

« ثلاثة ساذكرها على الدوام « الحرم الشريف وجبل الزيتون واسعاف النشاشيبي ! » وهل اجمل من روح اسعاف السامية الحافلة بانوار من الشرق والغرب ! » .

والى اعجاب اسعاف بمحمد ودستور محمد اعجابه بأبي الطيب وادبه ، وفخره بطموحه وهمته . وفي الحديث عنه كان يقول : « ان المتنبي شخص ثالث بين كل مثقفين اثنين ، فما دار حوار بين مثقفين الا استشهد احدهما او كلاهما ببيت للمتنبي ! » .

وفي اللغة العربية يقول اسعاف : « اللغة هي الامة ، والامة هي اللغة ، وضعف الاول ضعف الثانية ، وهلاك الثانية هلاك الاولى ، وكل قبيل حريص (وقد كان في هذه الدنيا) جد حريص على ان يستمر كونه وعلى الا يبيد . فهو مستمسك بلغته للاحتفاظ بكينونته . واللغة ميراث اورثه الآباء للابناء . واحزم الوارث ضائن ما ورث واسفههم في الدنيا مضيع ... وان العربية لو لم تكن الجمال الاجمل ، ولو لم تكن اللغة المصفاة ، ولو لم تك لغة عجبا ما اختارها الدهر لقرآنها ! » .

من آثاره القلمية : عشق اسعاف لغته العربية الى حد التدله ، ورفع من شانها في خطبه وكتبه ومقالاته ، واثرى خزانتها بطائفة من المؤلفات . ودونك اسماء ما وقفنا عليه من آثاره المطبوعة :

١ – امثال ابي تمام – نشرها تباعا في مجلة « النفائس » سنة ١٩١٢ وقرأ في سبيلها ٤٠٠ كتاب من كتب الادب واللغة .

٢ – كلمة موجزة في سير العلم وسيرتنا معه – طبع سنة ١٩٢١

٣ – مجموعة النشاشيبي (١٩٢٢)

٤ – قلب عربي وعقل اوربي (١٩٢٣)

٥ – البستان (١٩٢٤)

٦ – كلمة في اللغة العربية (١٩٢٥)

٧ – مجموعة تضم :

أ – العربية وشاعرها الاكبر احمد شوقي

ب – اللغة العربية والاستاذ الريحاني

ج – العربية في المدرسة – طبعت سنة ١٩٢٨ .

٨ – البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد احمد شوقي – طبع سنة ١٩٣٢

٩ – الاسلام الصحيح (١٩٣٥)

١٠ ـ مقام ابراهيم (خطبة القاها في حفلة تأبين المرحوم ابراهيم هنانو بدمشق) (١٩٣٨) .
١١ ـ نقل الاديب ـ طبع سنة ١٩٥٦

٢ ـ الدكتور هاشم ياغـي

ولد « هاشم » في « المسمية » من اعمال غزة بفلسطين عام ١٩٢١ وانهى المرحلة الاولى من دراسته الابتدائية في مدرسة قريته واكمل المرحلة الثانية من هذه الدراسة في مدرسة « المجدل » والتحق بالكلية العربية في بيت المقدس وحصل على شهادة المترك الفلسطيني عام ١٩٤٠ ، وبعد تخرجه عين استاذا في الكلية الابراهيمية في بيت المقدس ودرس الحقوق في معهد الحقوق الفلسطيني سنة كاملة ، ثم التحق بمعارف فلسطين وعين معلما في مدرسة دير البلح الاميرية ثم عاد استاذا الـى الكلية الابراهيمية وامضى فيها ثلاث سنوات .

وبعد سبع سنوات امضاها في سلك التعليم التحق عـام ١٩٤٧ بكلية الآداب في جامعة القاهرة ونال منها درجة الليسانس الممتازة .

وبعد النكبة الفلسطينية الاولى (١٩٤٨) عين استاذا في مدرسة الابيار بليبيا ثم بارحها الى الكويت وعين استاذا في احـدى مدارسها وعمل فيها سبع سنوات ، وانكفأ خلال هـذه الفترة عـلى تحضير اطروحة لنيل درجة الماجستير في الآداب من جامعة القاهرة ، وكـان موضوع اطروحته « ابو علي القالي اللغوي الاديب » . وفي عام ١٩٥٦ نال الماجستير وواصل العمل لنيل درجـة الدكتوراه في الآداب مـن جامعة القاهرة وكان موضوع اطروحته « النقـد الادبـي الحديث في لبنان » وفي عام ١٩٦٠ نال درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف وقصد ليبيا وعلم سنة كاملة في الجامعة الليبية ثم قصد السعودية وعـين استـاذا للادب العربي في جامعة الملك سعود . وبعد تاسيس الجامعة الاردنية عام ١٩٦٢ التحق استاذا بكلية الآداب .

من آثاره القلمية : عالج الدكتور هاشم موضوعات طريفة في ادبنا المعاصر ، ونشر بعضها في كتب قيمة عرفنا منها :
١ ـ ملامح المجتمع اللبناني الحديث ـ طبع عام ١٩٦٤
٢ ـ القصة القصيرة في فلسطـين والاردن (١٨٥٠ ـ ١٩٦٥) ـ طبع عام ١٩٦٦
٣ ـ النقد الادبي في لبنان (الحركة النقدية حتى نهاية الحرب العالمية الاولى) طبع عام ١٩٦٨
٤ ـ النقد الادبي الحديث في لبنان (المدارس النقدية المعاصرة) طبع عام ١٩٦٨

وللدكتور ياغي مقالات تتسم بالعمق والجدية نشر اغلبها في مجلتي « رسالة المعلم » و « الافكار » الاردنيتين .

نموذج من نثره : « ... ولقد بلغ بتحسس فدوى كـل ابعـاد وحدتها الفنية انها حين عبرت تجربة الوحدة وما كان يلفها من قيـود وسواد ونار لم تستطع ان تنسى اصداء تلك الوحـدة ، فغنت بعضا منها حين فارقها الحبيب ووجدت نفسها تعود لشيء من تلك الاصداء.

والشعور العميق بالوحدة ليس الا وجها مـن وجوه الشعـور بالذات ومدى ما فيها من دوافع الحياة الحية عند فدوى ، ومن هنـا لم تنزلق في وادي التشاؤم المظلم السحيق ، وانى لها ان تنزلق وهي تتلمس جوانب ذاتها وابعادها فتجد انها تحمل بين جنبيها خصائص لا بد لها من ان تخوض تجربة الحياة في سبيلها بعد ان خبرت تجربـة الحرمان ، ومن ثم تغذ السير ، فلا تلبث ان تجد نفسها وتخوض تجربة الحب في عمق قد لعبت تجربة الحرمان السابقة عند فدوى في ابعـاد تعمقه ، وحين تنتهي هذه التجربة تخلص نفس فدوى الى قمة من قمم الانسانية الرفيعة المصفاة فتشرف منها على طريقها منذ وعت تجربة الوحدة ثم سارت بعد ذلك في تجربة الحب فوجـدت نفسها علـى اضوائه ، حتى انتهت هذه التجربة ، وافترق المحبان .

ونحن حين نقول ان عناويـن مجموعات فدوى الشعرية الثلاث ليست الا اضواء تسلط على هذه المراحل الثلاث مـن مراحل نفس فدوى ، مرحلة الوحدة بكل ابعادها ، ومرحلة الحب ووجدان النفس في اضوائه ، ثم مرحلة انتهاء تجربة الحب هذه ، فاننا نكاد لا نتجاوز التصوير الواقعي لابعاد هذه المجموعات الشعرية » .

٣ ـ الدكتور عبد الرحمن ياغي

ولد « عبد الرحمن » في « المسمية » من لواء غزة بفلسطين عام ١٩٢٤ والتحق بمدرسة قريته وانهى دراسته الابتدائية في بلـدة « المجدل » وانضم الى طلاب الكلية العربية بالقدس ونال المترك الفلسطيني عـام ١٩٤١ ودبلوم التربية والتعليم بقسميها النظري والعملي من الكليـة العربية عام ١٩٤٣ ، واحرز شهادة الصفمور في الكلاسيكيات والآداب من الكلية العربية عام ١٩٤٣ ، وامضى المرحلة الثانوية ونصف المرحلة الجامعية في بعثة على نفقة ادارة المعارف العامـة بفلسطين خـلال الانتداب البريطاني .

وبعد النكبة الفلسطينية الاولى (١٩٤٨) قصد جامعة القاهـرة ونال منهـا :
أ ـ شهادة الليسانس ، مرتبة الشرف ، في الادب العربي عام ١٩٥٠
ب ـ شهادة الماجستير ، مرتبة الشرف، في الادب العربي عام ١٩٥٥
ج ـ شهادة الدكتوراه، مرتبة الشرف، في الادب العربي عام ١٩٦٠

وغزا « عبد الرحمن » قطاع التعليم وامضى ثلاث عشرة سنـة في تدريس العربية والانكليزية للصفوف الثانوية العليا ، في القدس وغزة وليبيا والكويت ، ودخل باب الترجمة وعمل مـدة سنتين في مكتب فرانكلين للطباعة والنشر في بيروت وفي مكتب الشرق الاوسط لترجمـة الافلام المطولة لتلفاز الارامكو ، كما عمل مدة سنتين خبيرا باللغة العربية لهيئة اليونسكو برام الله ، واخيرا عين استاذا للادب العربي في كليـة الآداب بالجامعة الاردنية .

من آثاره القلمية : صنف الدكتور عبد الرحمن الكثير من الكتب وترجم العديد من المؤلفات الاوربية القيمة . ومـن آثار قلمه التـي وقفنا عليها :
١ ـ حياة القيروان ـ طبع عام ١٩٦١
٢ ـ ديوان ابن رشيق (١٩٦١)
٣ ـ المسرحية الامريكية الحديثة (مترجم) ١٩٦١
٤ ـ ت. س. اليوت (مترجم) ١٩٦١
٥ ـ دراسات في النقد (مترجم) ١٩٦١
٦ ـ جير ترود شتاين (مترجم) ١٩٦٢
٧ ـ رائد الثقافة العامة (مترجم) ١٩٦٣
٨ ـ مدار الزمن (بالاشتراك مع آخرين) (مترجم) ١٩٦٢
٩ ـ فلسفة وايتهيد في الحضارة (مترجم) ١٩٦٢
١٠ ـ التنمية اللغوية والمواقف الاجتماعية ١٩٦٢
١١ ـ حياة الادب الفلسطيني الحديث من اول النهضة حتـى النكبة ـ ١٩٦٨
١٢ ـ رأي في المقامات : مقامات البديع .

نموذج من نثره : « لعل من خصائص الشعر في الارض المحتلة .. تأثيره الكبير في الشعراء الآخرين ... تأثيرا لا يقف عند حد ... فحين التقى الشعراء ، وشدت الايدي بعضها على بعض ، وتعانقت الرؤوس، وامتزجت القلوب ، راينا اثر شعراء الارض المحتلة منذ سنـة ١٩٤٨ اقوى في شعراء الضفة الذين التقوا بهم ... ولعل هذا الاثر يتضح في التطور الذي سارعت اليه الشاعرة فـدوى طوقان ... حيث كـان شعرها صورا حية لتطور الحياة الشعرية في فلسطين بعـد النكبة .

ومن يمضي في قراءته ويتدرج معه مـن حيث الزمان .. يجد صورا وجدانية لحياة المجتمع الفلسطيني وتطورها بفعـل تطور الاحداث المشتملة عليها .

لقد سكن الشاعرة منذ عام ١٩٤٨ حزن اسود ... مضى يرعى في عروقها صامتا ... وألمت بها احداث خاصة تداخلت وتشابكت مع المأساة العامة التي كادت ان تركن الى الاستسلام لها ... ثم لم يلبث هذا الحزن الصامت ان استحال الى حزن غاضب متحرك ... يحاول ان يتلمس سبيلا ينفذ منها ... ليجد منطلقه ... وحين يجد المنطلق ... نجده يجنح الى زوايا فردية ... ويتلمس حلولا خاصة ذاتية لا تتعانق فيها هموم صاحبها بهموم مجتمعه واهل مجتمعه ... وان تكن تتجاوب فيها ابعاد انسانية خصيبة ، ولكنها حين تتهيأ للاندماج في الجماعة ... والتعاطف مع الجموع ... وحين تلتقي براسها مع رؤوس رفاقها الشعراء في الارض المحتلة بعد حزيران الاسود ... وتسند رأسها الى رؤوسهم ... وتتعانق واياهم ... وحين تلتقي الاكف بالاكف ... وتتجمع القلوب ، وتنطلق الاماني نحو آفاق واحدة تستقطب حولها هموم الجماعة ... حين يتم ذلك كله نجد التيار الصغير ينطلق في نهر هادر ... واذا هدير النهر يفتح الكثير من الابواب التي كانت مغلقة ... واذا صوت الجماعة ... وهموم الجماعة ... وغايات الجماعة .. تتردد اصداؤها في شعر جديد متفتح متفائل يدرك ابعاد خطوه الفسيح ! » .

٤ ـ يوسف ابراهيم زعبلاوي

ولد « يوسف » في مدينة يافا بفلسطين سنة ١٩١٩ ، واتم المرحلة الابتدائية وبعض المرحلة الثانوية في مدارس حكومة الانتداب ، ثم التحق بالجامعة الاميركية في بيروت وتابع التحصيل حتى نال شهادة البكالوريوس في التاريخ والعلوم السياسية سنة ١٩٤٠ .

وعاد الى فلسطين وباشر التدريس في كلية النجاح الوطنية بنابلس ، وبعد سنة صرفها في التعليم هناك عاد الى الجامعة الاميركية في بيروت وامضى فيها سنتين ، توفر خلالهما على بعض الدراسات العليا في الفلسفة ، مستهدفا الحصول على شهادة الماجستير في الفلسفة ، والى جانب تلك الدراسات درس الفلسفة وعلم النفس لطلاب السنتين الاولى والثانية (فرشمن وصوفومور) ، ثم عاد الى يافا وزاول اعمالا حرة ، وفي سنة ١٩٤٧ التحق بالمكتب العربي في لندن واستمر في عمله هذا حتى ربيع عام ١٩٤٨ حين قدم استقالته ورجع للوطن للعمل فيه .

على ان الطائرة التي امتطاها من مطار لندن لم تنقله الى مطار اللد ، كما كان متفقا عليه ، بل نقلته الى مطار المزة بدمشق ، وكان في ذلك بداية حياة اللجوء ... اذ لم يكد يمضي اسبوع على وصوله حتى لجأ الكثيرون من عرب فلسطين الى دمشق وفي عدادهم اهله وذووه !

وهكذا اختلفت المسؤوليات وتباينت مستويات الحياة والاعمال التي مارسها في سورية ، وكانت الزراعة في الجزيرة اولا والاعمال التجارية في دمشق ثانيا !

وفي سنة ١٩٦٠ انتقل الى الكويت والتحق بدار الاذاعة الكويتية حيث عمل مسؤولا عن القسم الادبي فيها ثم عن اعمال ادارتها ، وما لبث ان نقل الى وزارة الارشاد والانباء ، وهي الوزارة المشرفة على الاذاعة والتلفاز وقام باعمال مختلفة ، واخيرا نقل الى جهاز التحرير في مجلة « العربي » وحرر بعض ابوابها الشهرية الثابتة ، وما زال يقوم باعداد ملحقها الشهري الخاص بالنشء العربي الطالع المسمى « العربي الصغير » .

نموذج من نثره : « يروى ان الاسكندر الكبير زار معبد النبوءات في دلفي قبل القيام بحملته وفتوحاته . ويقال ان كاهنة معبد دلفي العرافة رفضت الجلوس على منصة التنبؤ بحجة ان ذلك اليوم لم يكن من الايام التي يجود بها أبولو ، صاحب النبوءات ، بنبوءاته . الا ان الاسكندر لم يقتنع بهذا بل اصر على اعتلاء العرافة المنصة وحصولها على النبوءة التي طلبها ليستشف منها مصير حملته التي كان يفكر في القيام بها . ولما تشبثت العرافة بموقفها ، لم يكن من الاسكندر الا ان امسك برقبتها في عنف ثم حملها واجلسها على منصتها . وغضبت العجوز عند ذلك وتمتمت قائلة : « اذهب عني ايها الشاب .. حقا انك عنيد ، والتغلب عليك مستحيل .. » وسر الاسكندر لهذه العبارة التي قالتها العرافة بصورة طبيعية وبقصد التعبير عن شعورها . وقد بلغ من سروره بها انه لم ينتظر نبوءة أبولو بعدها ، بل غادر المكان لدى سماعها .

وقد يشعر القارىء بعد هذه الطرفة بشيء من حب الاستطلاع بصدد معبد دلفي هذا وبصدد نبوءاته .

وتجدر الاشارة ، في البدء الى ان معابد النبوءة ، او ان شئت ، مراكز العرافة والكهانة ، انتشرت بكثرة في بلدان العالم القديم . فقد كثرت فيما بين النهرين وبين الفينيقيين والكنعانيين . وكثرت كذلك في حوض النيل . الا ان تلك المعابد كانت اكثر انتشارا بين الاغريق . فقد اعتقد اهل اثينا واسبارطة وسائر مدن اليونان بامكان استجلاء الغيب واستشفاف المستقبل ، وآمنوا باحتمال وقوع الخوارق والمعجزات . لذلك فقد كثرت معابد النبوءات عندهم بحيث لم تخل منها بلدة من بلدانهم الكبيرة ولا حتى الصغيرة .

ويذكر المرء من تلك المعابد اليونانية معبد هرقل في بلدة بورا ومعبد زيوس في بلدة دودونا . غير ان معبد دلفي الذي ذكرنا كان اهم واخطر معابد النبوءة اليونانية على الاطلاق .

ويستطيع المرء ان يتحسس ذلك في الادب اليوناني القديم وخاصة الروائع التي كتبها بعض مشاهيره امثال اسكيلوس ويوربيدس وسوفوكليس . فقد اولى هؤلاء وغيرهم معبد النبوءات في دلفي مزيدا من احترامهم وتقديرهم .

على ان خطورة معبد دلفي هذا تتجلى اكثر ما تتجلى في الزيارات المرموقة التي حظي بها والتي لم تقتصر على زيارة الاسكندر الكبير ، وقد سبقت الاشارة اليها . اذ زاره الكثيرون من حكام مدن اليونان وعدد من الملوك الاجانب . ويذكر من هؤلاء الملوك الاترسكيون وهم حكام روما القدماء ويذكر منهم ايضا ملك ليديا في آسيا الصغرى ، وكان اسمه كروزوس ، واشتهر بوفرة امواله وكنوزه .

فقد زار هذا الملك معبد دلفي سنة ٥٤٦ ق. م. واستفتى العرافة في الحرب التي كانت قائمة بينه وبين قورش ملك فارس . ومن طريف ما يذكر ان النبوءة التي حصل عليها كانت بالحرف الواحد « ثمة مملكة عظيمة .. اذهب وحطمها .. » وفرح كروزوس بهذه النبوءة ، وعاد مسرعا الى آسيا الصغرى ليواصل حربه ويحقق النصر على عدوه . وانتهت الحرب .. ولكن المملكة التي تحطمت كانت مملكته هو لا مملكة فارس .

بيد ان المواضيع التي استفتي فيها معبد دلفي لم تكن كلها من نوع الرجم بالغيب ، ولم تقتصر على النبوءات التي قد تثبت الاحداث كذبها . ولعل اكثر تلك النبوءات كان من نوع الفتاوى او الاجوبة عن اسئلة دينية معينة . هذا فضلا عن النصائح والارشادات المتصلة بمشاكل خلقية واجتماعية وقد شكلت نسبة كبيرة من تلك المواضيع . ومن طريف ما يذكر هنا ان دساتير مدن اليونان وقوانينها كانت في الغالب تعرض على عرافة معبد دلفي قبل العمل بها ، وذلك لكي يقرها او يباركها ابولو . ويصدق ذلك بخاصة على اسبارطة .

ومثل ذلك يقال في استحداث المستعمرات اليونانية في الخارج وقد كان هذا الاستحداث من المواضيع التي كثر استفتاء معبد دلفي فيها . ويذكر هنا ان مدينة بيزنطية القديمة لم تنشأ في المكان الذي انشئت فيه ، اي بالقرب من اسطمبول الحالية ، الا بناء على توصية معبد دلفي .

والغريب ان نبوءات معبد دلفي لم يفتضح امرها او كذبها في وقتها . ذلك لان ديباجة تلك النبوءات صيغت بقدر كبير من الغموض،

بلدة الشاعر

مهداة الى الشاعر انـور الجندي ابن بلدتي البار

أحبك يـا بلدتي الشاديـة ... مع الريح في مسرب الباديه
أحبك في هتفـات الحمام ... يرددن في الصبح انشاديـه
أحبك في لهثـات الخراف ... يثبن الـى النبعة الحاديه
أحبك في أوبـة الحاصدين ... على طلعـة النجمة الهاديه
أحبك في زفـرات الوهـاد ... وفي خفقة النسمة الفاديـه
وفي لفتات اخضرار الكروم ... وفي نقلة القبرة الشاديـه
أحبك يـا ملعب الذكريات ... ترعرعن في التلعة الصاديه
فلولاك يـــا منبت الملهمين ... لـما عرف النـور أبعاديه

٠٠ وتمسين يا بلدتي روضة ... يضيء اليها الشاعر الفارس
ورودا كأجمل ما في الجنان ... تفنـن في غرسهـا الفارس
كناس ظبـاء فتن الوجود ... تباهى بهـا الزمن الدارس
حبتـك الطبيعـة أسرارها ... تحير في كشفهـا الدارس
٠٠وهبت عليك سنون عجاف ... ومـر بـك الجلمد اليابس
وضاقت بك الارض يا بلدتي ... وأنت لهـا الرحب لا تيأس
ترفرف في ظلـك المكرمات ... يهش لهـا الزعزع العابس
ترابك مثوى الاباة الجدود ... فديت التراب الذي احرس

سلمية* ، يا شرفات الحنين ... وزورق تيه بنـــا أبحـرا
سلمية، يا سبحات الشعور ... لمن هام ، او خط، او فكرا
أوابد توحي بسحر الوجود ... تعانق في سحرها ، تدمـرا
وديوان شعر فريد السطور ... لكم جاد بالشعر ، كم عبرا
جنان لقلبـي مهـد حبيب ... أرى الكون من سجفها منظرا
تعلمت مـــن كبرها عفـة ... ظللت لهـــا مخلصا خيرا
درجت على ارضها شاعرا ... ونظمت مـن وحيها دفترا

* سلمية : بلدة الشاعر ـ تعتبر منطقة زراعية خصبة في سوريـــة ، فيها ثانوية زراعية مشهورة بتجاربها الحديثة .

دمشق ... اسماعيل عامود

بحيث اولها الناس واعادوا تاويلها حسب الحاجـة وبقصد اثبـات صدقها . فقد كانت تلك النبوءات ومعابدها ذات صلة وثيقة بمعتقدات الاغريق الدينية ، بحيث تراءت لهم صادقة ، حتى وان ثبت كذبها .

اضف الى ذلك ان رجال الديـن الوثنيين كانوا وراء تلـك النبوءات . حقا انها صدرت عن العرافة في حالة مـن الغيبوبة كانت تأتيها وهي جالسة على منصتها . الا ان رجال الدين القائمين علـى شؤون المعبد ، والمقيمين فيه ، كانوا هم الذين يلقنون العرافة مسبقا او يحضرونها نفسيا قبل اعتلائها المنصة . وكانوا ايضا هم الذيـن يحررون نبوءاتها ويكتبونها شعرا بعد صدورها عنها وقبل تسليمها الى طالبيها .

ومن طريف ما يذكر هنا انهم كانوا في الماضي البعيـد يختارون العرافة من بين الصبايا العذارى من اهل دلفي . الا انهم ما لبثوا ان درجوا على اختيارها من بين العجائز اللواتي تجاوزن الخمسين . ويقال انهم اخذوا بذلك في اعقاب مخاطر تعرضت له احدى صبايا العرافات.

اما عن ابولو ، فتكفي الاشارة الى انه كان يحتل مكانة رفيعة . فهو الوحيد الذي احتفظ باسمه الاغريقي علـى الدوام وفي عهـد الرومان .

واقترنت صورته بقرص الشمس في معظم الاحيان ، وقد اظهـره اليونان وبيده القيثارة ، في شتى نقوشهم وتماثيلهم .

اما صلته ببلدة دلفي ومعبدها فليست قديمة كما يحدثنا بذلـك هوميروس . اذ خضعت تلك البلدة في السابق لحكم تنين او ثعبـان ضخم . ولقد تمثلت في ذلك الثعبان قـوى الشر وتمثلت فيـه ايضا القدرة على علم الغيب .

الا ان ابولو لم يلبث أن هاجم التنين في عقر داره فقتله ، واتخذ من بلدة دلفي ومعبدها بعد ذلك مقرا له » .

عمان ـ الاردن ... البدوي الملثم

لا املك الا ان اقول لك . اهلا وسهلا ومرحبا .. شرفت بيتك ودارك ، فانت مهما يكن ابن لنا، ومن دمنا ولحمنا ، ولا نستطيع ان نعض فيك لان وخزة دبوس في يدك او شكة ابرة في ذراعكتؤلمنا وتعذبنا، وزفرة « آه » تنطلق من فيك ، وانة توجع تصدر عنك ، تجعلنا نارق الليالي ونتجافى عن مضاجعنا، فأنت .. انت .. مهما تغيرت وتبدلت ، وتحولت من لابس صديري ملون وسروال اسود وحزام احمر ، وعمامة فوق الراس تلمع لاستها الحريرية .. الى افندي او استاذ يلبس بنطالا من الصوف وقميصا من الحرير ، ويدهن رأسه المصفف بالطيب ، وتفوح منه رائحة ذكية نفاذة تشفي المصدوعين وتزيل كآبة المهمومين ... فانت انت مهما تبدلت وتغيرت بالنسبة لنا .. منا وعلينا .. والناس تعرفك ويعرفون اباك .. يعرفون انك نجم بن محمود الطاهر او الحاج محمود الطاهر .. ولعلك تذكر انهم كانوا ينادونك : نجم .. الولد نجم .. ثم الاستاذ نجم فيما بعد .. الذي هو الآن .. وانت واقف على عتبة الدار متعجلا وتشرع في كلامك وسلامك ، حتى انك تأبى ان تأخذ قدحا من الشاي الذي تحبه .. والذي كثيرا ما كنت تتعارك على صنعه من اجلك .. وتتعلل بأنك مشغول ولديك مشكلات كثيرة تود ان تحلها وتنهيها ...

نحن لا نعطلك ، ولا نعوقك ، الله معك .. ادعو لك يا ولدي بالتوفيق والعون من الله .. حتى تبلغ ما تريد .. وتصل الى ما تقر به عينك ، ويشفي طموحك غير المحدود .. لا اعطلك يا ولدي بل اقول لك مع السلامة يا نجم .. يا ولدي .. يا استاذ نجم .. ولكنها الفرصة حانت الآن .. فمنذ زمن لم نرك ولم تأت الينا .. ويجب ان ننتهز الفرصة لنرحب بك .. تكرمت علينا وجئت تقول سلامات يا أحباب .. وكيف حالكم .. وهل تريدون شيئا .. واوضحت لنا ان ما نريده تستطيع ان ترسله بالبريد او تشحنه في القطار المسافر من هناك لانك غير واثق من وجود فرصة اخرى ترانا فيها ونراك .. تقول انك لا تفرغ ابدا ووراءك كثير من الامور لا تحل بدونك .. قلبي معك يا ولدي ..

ها هم تجمعوا حولك .. الكل ينظر الى وجهك الشاب الممتلىء وعيناك اللامعتان .. ويتشممون بانوفهم رائحة عطرك النفاذة .. يتمنون ان تدخل الى اجوافهم دفعة



بقلم حلمي محمد القاعود

واحدة ، وتنتشر على اورديتهم ، ويدهنون ايديهم ورؤوسهم ، ويسيرون في عرض الطريق فيشير اليهم الناس : هذا من عطر الاستاذ نجم بن الحاج محمود الطاهر .. بيد انهم وقفوا يحدقون فيك وينظرون اليك واكتفوا بالالتفاف حولك .. والبقاء بالقرب منك طويلا .. حتى يستوعبوا العبير المنبعث منك .. يخافون ان يبرحوا المكان لئلا يضيع شذاك ويهرب



عبيرك .. هذا كل همهم فقط .. لم يطلبوا منك شيئا بالبريد او بالقطار .. آثروا ان يريحوا ساعي البريد والقطار المتحرك من هناك ..

الله معك يا ولدي .. يحفظك في الذهاب وفي الاقامة .. امك قبلي تدعو لك ، وابوك لا يكف عن الدعاء .. نطلب جميعا ونتفق في الطلب .. عمر طويل وبقاء حتى ترى احفاد احفادك .. وجئت الآن لتسلم .. مرحبا يا ولدي .. ولكن الشاي يصنع من اجلك .. انت تحب الشاي وانا اعرف ذلك منذ كنت صغيرا .. تشربه بكميات كبيرة .. ولست ادري هل تذكر ليالينا على سطح النيل ونحن نسرح في جوف الليل .. آه يا مركبنا الصغير .. يا شراع الذكريات العابر على وجه الزمن .. يأيها « اللوتس » الغالي كنت فرسنا التي تصهل فوق الماء ونباهي بك كل المراكب الصغيرة في « ادكو » .. ولست ادري اتذكر ليالي الصيد وليالي بيع الملح ام لا ؟ .. انني اذكر ليلة واحدة .. اذكرها جيدا حين ذهبنا نبيع الملح في القرى المطلة على ضفاف النيل.. لقد نفد فيها الشاي .. ورايتك لا تقوى على على التحكم في دفة « اللوتس » وقلت لي :

ـ ان دماغي تشبه قطعة ثلج تهشمت بقطعة حجر .!

ـ لا يهمك .. فالصبح اوشك على الطلوع . واخذت اسري عنك واسليك ..

وقمت تغلي ماء وتذيب فيه السكر وتحدث صوتا بالملعقة وانت تذيبه كي تقنع نفسك بان في الكوب شايا ! وما اعجبك وانت تشرب الماء المغلي بالسكر في نشوة .. مع علمك انها نشوة كاذبة .. الست معي في انك تحب الشاي ، حبا جما ؟ لا تنكر ولن تستطيع ان تنكر . لانك لا تقدر على ذلك فانا اعرفك حق المعرفة ، لانني عمك ، وقد ربيتك على يدي ، وعشت معك اكثر من

ابيك .. في طفولتك ورجولتك كنت معك . منذ كنا نناديك يا نجم حتى اصبحنا نناديك ونتحدث عنك بالاستاذ نجم ..

دقائق يا غالي وسوف يأتيك الشاي ، وانت حر في ان تشربه واقفا او قاعدا على اريكتنا غير الوثيرة ، لن يستغرق الامر سوى دقائق .. وحبذا لو جلست على حصيرنا الكبيرة ، اعرف انك تحب ان تتربع وتأخذ حريتك في اثناء الجلوس .. على كل الامر متروك لك ولارادتك .. لا تؤاخذني يا بني فانني اتحدث عن ماض احببت فيه اشياء وكرهت فيه اشياء ، ويهمني ان اقدم لك كل ما تحب وما ترغب، واجنبك كل ما تكره وافديك بنفسي .. الست ابني وولدي الذي رافقته مذ كان ناعم الاظفار حتى صار استاذا كبيرا ؟.. يبدو ان كلمة الحصير اساءتك وطفحت الاساءة على وجهك كما ارى ! كل ما في قلبك يطفو على وجهك .. واعتبرها حسنة من حسناتك ولكن يا ولدي انا نفضل الجلوس على الحصير ونلتف حول « الطبلية » رغم وجود طاقم السفرة الجديد في بيتنا ؟ هكذا نشأنا يا ولدي .. ودربنا ان نستريح هكذا !

تستاء منا ولا ذنب لنا .. اعلم انك مستاء ايضا لان زوجتك انكشفت ساقها حين ارادت ان تجلس بيننا ذات مرة .. وانت تعلم ان ثوبها قصير .. وقد قام ابوك والقى عليها عباءته وازداد الموقف حرجا حين ظهر الخجل وبان الارتباك وتلعثم الناس ولم ينطق احد . قالت زوجك لابيك :

— ميرسيه يا عمي ..

لم يفهم ابوك ما قالت .. لا تستغرب ولا تتعجب فهو لم يسمع بمثل هذه الكلمة سلفا ، وربما سمعها ولم يدر معناها ، وما كان منه الا ان فغر فاه وظهرت الدهشة على ملامحه وتحير .. لعله احس ان تصرفه كان غير لائق فتمتم بكلمات تشبه الاعتذار ليرضيك ويرضيها .. اما اخوتك البنات فقد ضحكن .. ولم تخف حدة الاستياء على صفحة وجهك ، وحاولت ان تزجر البنات ولكنك آثرت الصمت . وتلفت يمنة ويسرة ثم هممت بالنهوض . ولكن الحاجة ادركت بفطرة الامومة ما انت فيه :

— لا تزعل يا ولدي من البنات ..

فهن يضحكن دائما في الشغل وفي البيت . انسيت يا نجم ايام كنت تجمع معهن الهيش ؟ كن يضحكن لك وعليك كثيرا . لانك كنت صغيرا وكان منظرك يجعل الباكي يضحك .. الا تعرف ذلك ؟ ام نسيته ؟..

— اعرف يا امي ولم انس .. ولست زعلانا ..

— اذا .. اضحك مثلهن ..

واشارت الى زوجك :

— وانت الاخرى يجب ان تضحكي لاننا نحب الضحك حتى في ساعات الحزن .. يجب ان تعرفي كل طباعنا يا بنيتي ..

ويبدو ان الفتاة كانت على سجيتها فأخذت الامور ببساطة .. بأبسط مما اخذتها .. فشاركتهن الضحك واندمجت معهن واخذن يحكين لها عن ايامهن مع « الهيش » وجر القوارب وهن يلبسن بنطلونات من « الشيت » .. ثم حدثتها عن اغانيهن واغاني الصيادين .. كن يتحادثن ويضحكن وانت ما زلت ممزقا بين بين .. ولقد زاد وجهك اشتعالا حين ذكرن ايامك الخوالي ايام كنت تخرج معنا لبيع الملح نظير الذرة نملأ « اللوتس » ملحا ونعود به مملوءا بأجولة الذرة .. ما زالت صورتك وانت صغير تلفع مقطفا على ظهرك وتسير ورائي في كل زقاق وحارة ننادي في ازقة القرى وحواري الكفور والعزب .. واكاد اسمع صوتك الرفيع حين اتعب من النداء :

— مصلح يا ملح .. مصلح يا ملح .!

لا عليك يا نجم فانت ابني وحبيبي وكل املي ان تجلس قليلا لتشرب الشاي ، وبعدها امض الى حيث تريد مكللا بدعواتنا وحبنا ..

— اني اسمع الاولاد في الداخل يتزاحمون ويتعاركون ويتصايحون على من يقدم لك الشاي .. فما رأيك ؟

هيا ندخل الى حصيرنا وحشايانا المرصوصة بجوار الحائط والمدفأة الملأى بالرماد وكتابي المفضل عن سيرة البطل الامام « سيف بن ذي يزن » حامي الحمى وسيد الفرسان .

الاسكندرية — حلمي محمد القاعود

يا نهر

يا نهر قل لي والحياة تبسم وتجهم
هل انت دمع من عيون الارض تجري ام دم
تنهل دفئا في شرايين الحقول فتبسم
قل لي : وانت من الطبيعة جرحها المتالم
ختمت جراحات الزمان فما له لا يختم

جبيل ــ لبنان — شكر الله الجر



الطبيعة في الشعر الجاهلي

تأليف الدكتور نوري القيسي – ٤٠٤ صفحة – منشورات دار الارشاد ببيروت

للمؤلف دراسات عديدة في الادب الجاهلي وجهد واضح في هذا الميدان، فبعد كتابه عن الفروسية في الشعر الجاهلي يقدم لنا بحثه الجديد عن الطبيعة بقوله : « استهوتني دراسة الشعر الجاهلي لاعتقادي باصالة هذا التراث ، فالشعر الجاهلي اساس لكيان الشعر العربي ، والاصل الذي هيأ لكل المتاخرين ان يستمدوا منه فيض معانيهم وصورهم واخيلتهم » . ويخطيء من يظن ان التيارات الادبية الحديثة تغني عن دراسة ادب العصور القديمة ، وان التجديد يمكن ان يمارسه من لم يلم بالقديم ، فالاشكال الجديدة تبتعثها التجاريب القديمة ، وهذا ما يفرضه التطور في كل زمان ومكان ، وعملية الافادة والاستفادة قائمة دوما بين الماضي والحاضر .

يوضح لنا المؤلف في مقدمته اسباب اختيار الطبيعة موضوعا لبحثه : « بان شعر الطبيعة اخذ مكانته البارزة في القصيدة العربية ورمز الى كثير من الاوضاع النفسية التي كان الشاعر يعيشها ولم اجد بين القدامى، او اصحاب الاختيارات من التفت اليه فصنف فيه كتابا مستقلا » وقد اتفق كتاب وادباء على ان الشعر الجاهلي تعبير عن البيئة وتأثر الشاعر بها ، وهنا تكمن اهمية كتاب الدكتور القيسي اذ لا غنى لدارس الشعر الجاهلي عنه ليفهم الصلة القوية التي كانت قائمة بين الشاعر وبيئته .

ويلاحظ قارىء البحث بسهولة ان فصوله وابوابه اقرب الى شبكة معقدة استل المؤلف خيوطها من دواوين ومصادر ، او كل ما يمكن ان يتيسر للباحث منها ، وتتبع النماذج الشعرية الجاهلية فخرج الينا بكتاب اقل ما نستطيع ان نصفه به انه متقن يثري المكتبة العربية في بابه ، وهذا ما دعا مقدم الكتاب الدكتور شوقي ضيف ان يقرر بانه : « دراسة علمية خصبة للطبيعة في الشعر الجاهلي تمتاز بخصلتين اساسيتين ، خصلة الريث والاناة في الاحكام الادبية حتى تجتمع لها الادلة التي تسندها من النصوص الحسية وما يداخلها من الحقائق الفنية ، وخصلة الجهد الشاق وابتغائه والمتاع به متاعا من شأنه ان يجعل صاحبه كلما ذلل صعوبة من صعاب البحث وعقبة من عقابه تحول الى اخرى باذلا من تذليلها كل ما استطاع من قوة وكل ما تهيأ له تهيؤا حسنا من وسائل البحث العلمي وادواته ، حتى تستقيم له وحتى تنقاد انقيادا » .

يقسم المؤلف بحثه الى بابين كبيرين هما الدراسة الموضوعية ، والدراسة الفنية ، ويتناول في الباب الاول الطبيعة الصامتة من جبال وكثبان وسراب ووديان ودارات وبرق ... الخ ، والطبيعة المتحركة التي تتعلق بالحيوانات المختلفة التي وصفها الشعراء . والباب الثاني : الدراسة الفنية وتتناول فن الشعر الجاهلي وتطوره ، وتصوير الطبيعة الصامتة ، الاطلال والصيد ... الخ ، ثم الواقعية في شعر الطبيعة والاسلوب القصصي ، الخصائص والموسيقى ... الخ ، ويخرج بنتائج كثيرة منها : عبث محاولة تحديد البداية الاولية للشعر العربي وتثبيت المراحل التي مر بها ، ومنها ان الصحراء ، رغم جدبها ، زاخرة بمظاهر ثرة من نعم الطبيعة ، فليس القحل والمحل ملازمين لهـا كل الوقت ، ومنها ان تأثر الشاعر الجاهلي بالبيئة امر واضح لا ريب فيه، بمئات الادلة والشواهد، وان حالاته النفسية ووصفه لها في شعره مستمدة من تلك البيئة داره الواسعة، التي كانت تطلعاته تهيم فيها ولا تهدأ ولا تستقر.

ويقف المؤلف طويلا عند البكاء على الاطلال ، اهم اغراض الشعر الجاهلي وابرز ما يميزه ، ويفسر هذه الظاهرة ويستعرض اراء الكتاب العرب القدامى والمحدثين كابن قتيبة ويوسف خليف واراء الكتاب الاجانب ، ومنهم المستشرق الالماني كالنر برونانه الذي حاول تفسير هذه الظاهرة من خلال التماسه لالوان من التفكير الوجودي ، وينتهي الدكتور القيسي الى ان البكاء على الاطلال ليس عاطفة خاصة ولا تجربة وجدانية ذاتية بل لحظة حزينة املاها على الشاعر شعور الجماعة التي ينتمي اليها ، بالحرمان من الوطن المكاني ، وبالحنين الى الاستقرار والمقام الثابت الذي يستطيع فيه ان يقيم بيتا يخلد ذكرياته ... ويقول :

« ... ثم وجدت ان وصف الطلل من اكثر الموضوعات الجاهلية عاطفة واصدقها تعبيرا واشدها اتصالا بالوجدان . وبالتالي فهو يمثل تجربة الرحلة التي قامت عليها الحياة الجاهلية . فالحنين الى الطلل يمثل الحنين الى الوطن ، لان الطلل وما يحيط به ، وما يتناثر حوله من الدمن ، يمثل مجموعة البيوت التي حفظت ذكريات الشعراء فلا غرابة اذا وجدنا الشاعر الجاهلي يبرز ذاتيته ، ويفرغ شخصيته وهو يقف امام هذه الاحجار او الاثار – محاولا بذلك اثبات وجوده المبعثر في هذه الصحراء التي لم يضمن فيها سكنا يلم حياته الضائعة ، وسط رحلة لا تستقر ، وتنقل لا يقف » .

وبهذا يستدرك المؤلف ما قرره سابقا بان الوقوف على الاطلال ليس عاطفة خاصة او تجربة وجدانية ذاتية ، ويقول ايضا : « ولا بد ان تعكس لنا هذه الصور الحالات النفسية التي كانت تدور في ذهن الشاعر وهو يصف لنا هذه الاثار ، فيضفي عليها من نفسه الوانا توضح الغرض الذي يريده منها ، وتجعلنا نقف عند هذه الحالات التي دارت في ذهنه والتي لم يجد لها حلا غير هـذا الوقوف ، وهـذه التشبيهات والصور » .

فعلى دارسي الشعر الجاهلي ليفهموا غرض البكاء على الاطلال جيدا ان يتقمصوا شخصية الشاعر الجاهلي حين وقوفه عليها ليدركوا ما كان يدور في ذهنه من احاسيس وخواطر ولوعة وحسرة وحيرة وذهول.

ورغم ثراء موضوعات الكتاب بالادلة والشواهد والمناقشات الصائبة لم اجد ضرورة كبرى لتقسيمه الى ما اسماه المؤلف الدراسة الموضوعية والدراسة الفنية ، ولعل الدكتور نوري القيسي قد ذهب هذا المذهب لان بحثه – في الاصل – رسالة جامعية مجازة ، فالدراسة الادبية الموضوعية لا بد لها من جانب ذاتي يوجهها ويميزها ، ومن اصالة للباحث تنضح فيها فتبعدها عن الحقائق العلمية الجامدة والثابتة ، والمقصود بالدراسة الفنية الجانب الذاتي الذي يمكن ان يظهر في الدراسة الموضوعية ، ولا ارى مبررا لهذا الفصل الا اذا ارتآه الكاتب لتتضح امامه معالم البحث وليسر للقارىء الالمام به وتفهمه بصورة صحيحة .

ان بالادب العربي ، عبر عصوره المتعاقبة ، حاجة الى جهود الباحثين المخلصين ، لتتكامل الدراسات القديمة بالدراسات الحديثة في سبيل ادب رائع يفرض وجوده محليا وعالميا ، واسهام الدكتور القيسي في اغناء المكتبة العربية ببحوثه المتتالية امر يستاهل حقا التنويه والتقدير .

جلال الخياط

بغداد – كلية الآداب

النافـذة المغلقـة

مجموعة قصص ـ تاليف يوسف جاد الحق ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

الاديب لا ينفصل عن مجتمعه ولا يبتعد عن مشاكله السياسية والاجتماعية والفكرية فهو يشارك فيها ويعايشها بكل وجدانه معايشة يستلهمها الرؤية الصحيحة التي تضيء الطريق امام افراد مجتمعه الذين يضعون امانة الكلمة وشرفها بين يديه .. وهذه الثقة تحتم على الاديب ان يجند نفسه دائما لخدمة مجتمعه بكل اخلاص وامانة .. يجلو الحقائق ويبصر الناس بها ويدافع عنها .. هذه هي مهمة الاديب الاساسية .. ان يدافع عن الحق والخير من أجل التقدم الانساني ولذا وجب عليه ان يتعدى حدود مشاكل مجتمعه الى المشاكل العالمية ، يشارك فيها ويسهم في الدفاع عنها من اجل تحقيق الحياة المستقرة للانسان .

والاستاذ يوسف جاد الحق الاديب الفلسطيني في مجموعته القصصية « النافذة المغلقة » يتناول عدة قضايا منها قضية فلسطين ، وهي من اهم القضايا في العصر الحديث لانها ماساة انسانية تلطخ الضمير الانساني الذي يشهد أبشع جريمة ارتكبتها الصهيونية والامبريالية .

والكتابة الفنية عن فلسطين ليست سهلة لكثرة ما كتب عنها من دراسات تصل باستمرار الى القارىء ـ العربي والاجنبي ـ ولذلك يجب ان يبتعد الكاتب عن السرد التاريخي والمباشرة والخطابة ويعتمد في تعبيره عن قضيته على المواقف المقنعة حتى يخاطب قلب القارىء وعقله معا .

والاستاذ يوسف نجح في قصة حبة البرتقال في ان يهز وجداننا وجعلنا نتعاطف مع بطلها ويثير سخطنا على مغتصبي الارض المقدسة وعلى الاستعمار الذي يساندهم .. وذلك لانه قدم ما يريده من خلال موقف وهذا ما افتقدناه في قصة « هكذا ذهبوا » التي استخدم فيها السرد والمباشرة . وقصة « حبة البرتقال » احداثها تدور حول صديقين يزوران باريس . ويصف الكاتب مشاعرهما باعتبارهما غريبين يريان لاول مرة مدينة باريس ، ولا يفوت الكاتب ان يكشف عن الزيف والنفاق اللذين يغرق فيهما المجتمع الاوربي ، فيسوق حوارا بين الصديقين يستثيره من ابتسامة عاملة المحل الذي يجلسان فيه :

ـ أجل يا صديقي .. الامر كما قلت لك ، فهي لبراعتها في اتقان عملها واخلاصها اخلاصا لو توفر نصفه لدى كل منا نحو عمله ، لانقلب مجتمعنا رأسا على عقب ولبلغنا قمة الحضارة منذ قرون .. اقول لاخلاصها هذا نحو عملها .. الذي يقتضيها ان تمنحك ابتسامة يخيل اليك انها لم تبتسم لبشر غيرك من قبل .. ونفس هذا الانطباع تتركه لدى كل زائر يدخل هذا المطعم .

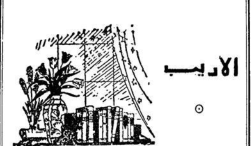
ـ لا يمكن .. انت تغالي في تحليلك هذا .

ـ أين المغالاة ؟

ـ في كل ما تقول .. اذ لا اجدني قادرا على تصديقك . هل يستطيع انسان ، كائنا من كان ان يزور عواطفه ومشاعره الى الحد الذي يجعل الزائف منها يبدو وكانه حقيقي ؟ هل يستطيع احد ان يمثل على هذا المستوى وبهذه القدرة ؟

ـ يا لك من مسكين .. لسانك طويل .. وقلبك ابيض .. حياة الناس في الغرب كلها هكذا .. التمثيل .. تزوير العواطف .. تزييف المشاعر هما مظهر الحياة عندهم حتى لتوشك ان تغدو هي الاصيلة في حين اصبحت المواطف الاصيلة الصادقة دخيلة وغريبة وهي حينما تظهر ، ان ظهرت في موقف او مناسبة ، تبدو كانها هي المزيفة الدخيلة لا يصدقها ولا يحترمها احد . وتأتي الفتاة بطبق به برتقال فتهتز مشاعر بطل القصة الفلسطيني عندما يرى على البرتقال اسم يافا .. وطنه فلسطين . تحلق روحه فوق وطنه السليب الذي امتص اليهود خيراته ليبيعوها في اسواق اوربا ، ويربط الكاتب بين غربة البطل وتشريده وبين البرتقالة اليافاوية المغتصبة . والمعتقد انه كان من الافضل ان

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

الادارة ٢٢٣٨١٩ Dir : 223819

المنزل ٢٢٥١٣٩ Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير أديب

يستعمل الكاتب المونولوج بدلا من تدخله وسرده للذكريات .

وتأتي قصة « بعد منتصف الليل » وهي قصة فكرية حوارية يناقش فيها الكاتب الاساس المادي الذي تقوم عليه الحضارة الغربية ومدى صلاحيته لبناء مجتمع سليم من خلال الشخصية الرئيسية في القصة ، وهي فتاة انجليزية .. والقصة تقدم شابة انجليزية سائحة تزور شابا عربيا صديقا لها بعد منتصف الليل فجأة . وتكتشف انه وحيد ، وهنا يلتقط الكاتب حبل المحاورة ويبدأ في ادارة المناقشة حول قبولها قضاء الليل معه دون خوف . ويستمر الحديث بينهما وتبدأ الفتاة في سرد قصة حياتها . والكاتب في هذه القصة يبرز مساوىء الحضارة الغربية القائمة على المادية التي تتلف الروحانية منبع السعادة للانسان ولذا فهي حضارة متداعية ، يشعر ابناؤها بالخواء النفسي والضياع .. الاحساس بالضياع هذا يطحن بطلة القصة ويجعلها تشعر بالمرارة والشقاء والفزع من المستقبل المريع الذي تبتلعه الآلة الصماء التي اماتت احساسات الانسان ومشاعره وحولته الى آلة لا يهمه الا مصلحته الشخصية فقط . ولنستمع الى هذا الحوار الذي يبدأه صديقها العربي :

ـ لقد كنت احسب انكم اسعد منا حالا بمدنيتكم المزدهرة وحياتكم الصاخبة .

ـ بالعكس مدنيتنا هي مصدر شقائنا لجنوحها المتطرف نحو المادية . الناس عندنا اصبحوا كالآلات الصماء تعمل بدون روح .. الآلية تسود كل شيء .. كل التصرفات .. كل العلاقات .. المصلحة الخاصة والانانية والفردية فوق كل اعتبار .

ثم تستطرد الفتاة قائلة ان الراحة الحقيقية والسعادة هي في الراحة النفسية ورضى الروح ، ليست في توفر اسباب الحياة المادية وحدها .

ويعالج قضايا اخرى اجتماعية تتصل بتامين حياة الفرد وضمان لقمة العيش له . ففي قصة « ضائعة » يبرز مشكلة فئة من الكادحين دون ضمان لمستقبلهم وتمثل هذه الفئة في الخدم والقصة تدور حول خادمة تطردها سيدتها بعدما وقعت فريسة للمرض . وتهيم الخادمة على وجهها في الشوارع وتقع مغشيا عليها .. وتفيق لتجد نفسها في المستشفى . وتمر الايام وتفاجأ بقرار خروجها بعد ما تم شفاؤها . وتصدم الخادمة لانها ستخرج الى المصير المجهول .. الى الضياع .. الى الشارع ..

والكاتب في هذه القصة استطاع ان يثير عطفنا على الخادمة وأمثالها اللاتي لا يجدن الرعاية في المجتمع .. ورغم ان هذا الموضوع قد عولج كثيرا من قبل في كثير من الاعمال القصصية الا ان الكاتب قدمه في ثوب جديد ، شكلا وموضوعا . كما يتضح في هذه القصة انسيابية الاسلوب وتدفقه نتيجة العفوية التي يكتب بها الكاتب وهذا ما نلاحظه في القصص جميعها . كما نلاحظ ان هذه العفوية ادت في بعض القصص الى النهايات الطبيعية مثل قصة : « الاستاذ شلكر » وقصة « بعد منتصف الليل » وهذا ما لم نجده في بقية القصص لانه لجا الى النهايات المفاجئة ، منها المقبول مثل قصة « النافذة المغلقة » ومنها غير المقبول لوجود التكلف الذي يصدم القارىء كما في قصة « الرحلة الموعودة » وهي تصور شوق ابن لامه العجوز التي اضطرته ظروف النكبة عام ١٩٤٨ ان يبتعد عنها .. ولم يستطع ان يزورها لضيق ذات يده لان المرتب لا يكفي لرعاية زوجته واولاده ..

واخيرا تحين له الفرصة لزيارة امه بعدما وفر نفقات الرحلة بعد سنين طويلة .. وفرحت الزوجة والاولاد واخذ الجميع يعدون العدة للسفر وبينما هم مشغولون باعداد حاجاتهم ، يسمع دق على الباب ويذهب الزوج ليرى من الطارق .. فاذا به ساعي البريد يمد له يده ببرقية .. يفضها الزوج فاذا بها تحمل خبر وفاة والدته . ففي هذه القصة نشعر ان الكاتب افتعل هذه النهاية ليحدث شيئا من التأثير الدرامي في القارىء ولكن هذا التأثير ضاع في هذه النهاية .

اما قصة « النافذة المغلقة » فقد انهاها الكاتب بمفاجأة مقبولة لانه اعتمد هنا على القضاء والقدر واستخدم الكاتب الطائرة كوسيلة انتقال ساعد على حدوث القضاء والقدر . والقصة تحكي حبا بين سميا وفائز .. يسافر فائز الى الخارج ويترك سميا وفي احشائها جنين واعدا اياها بالزواج صادقا . وكان موعد حضوره من الخارج بعدما انهى مهمته ، وتنتظره سميا .. واثناء فترة الانتظار يروي الكاتب قصة حبهما متهاديا على اجنحة الذكريات ثم يصدمنا بموت فائز العائد بالطائرة . وتدفن ذكريات الحب بين حطام الطائرة . واحب ان اشير هنا الى انه كان من الافضل ان يستخدم الكاتب المونولوج في سرد ذكريات الحب لان تدخل الكاتب كراو وقف حاجزا بيننا وبين سميا بطلة القصة ومشاركتها انفعالاتها وعواطفها .

واذا كان الكاتب يميل الى الجدية في قصص المجموعة ذات النغم الحزين الا انه حرص على اشاعة حد من المرح باستخدام الاسلوب الساخر الذي يثير الضحك ولكنه ضحك لاذع كوخزات الابر ، ويتمثل ذلك في قصة « ندوة ادبية » التي تعالج فيها ظاهرة من الظواهر المتفشية في الاوساط الادبية . وهو هنا يصور الواقع كعدسة آلة التصوير تتنقل في ارجاء المكان وصاحبها جالس يصارع الخوف من مواجهة الجمهور . ولكن سرعان ما يذهب عنه ذلك الخوف بعدما يكتشف ان معظم النماذج البشرية الموجودة لا صلة لها بالادب ، وما هم الا مجموعة من المتادبين المتانقين المثرثرين المنافقين . والكاتب في هذه اللوحة يقدم صورة حية لما يحدث في الندوات الادبية فعلا .

والقصص جميعها تعالج هموم الانسان الناجمة عن مشاكله الاجتماعية والفكرية ، ولذا فهي تشوبها بمسحة من الحزن ، وصل هذا الحزن الى درجة عالية في النهايات المفجعة التي انهى بها الكاتب بعض قصصه كما اسلفت .

والاستاذ يوسف جاد الحق يلتزم في قصصه بالواقعية موضوعا، ولكنه لم يلتزم بها في الاسلوب ، فهو قد التزم باللغة العربية سردا وحوارا ، ولكن دون اغراب او تعقيد لفظي مما ساعد القارىء على معايشة احداث القصص ومشاركة ابطالها احاسيسهم التي صورها الكاتب بصدق وصل بمعظم قصصه الى درجة عالية من الجودة الفنية.

القاهرة — ابراهيم سعفان

●

الانسان والحرمان

مجموعة شعرية ـ عصام الغزالي خليل ـ ٢٦٠ صفحة ـ مطبعة العلوم بالقاهرة

هو ديوان لطيف للشاعر عصام الغزالي خليل الطالب بكلية الهندسة في القاهرة وهو من ابناء مدينة المنصورة ويتألف الديوان من (٢٥٩) صفحة بالحجم الوسط وقد طبع بمطبعة العلوم في القاهرة عام ١٩٧٠ وكتب له مقدمة وجيزة جدا امين مجلس اتحاد الطلاب ويضم مقطوعات وقصائد جميلة تدل على شاعرية متفتحة واخيلة مجنحة وهو في ميعة شبابه واعجبني بها قوله في قصيدة عنوانها : رسالة الى امي :

أماه ليلي حين جن واطبقا ... وجلست في كنف الشروق ممزقا
هبت علي من الخواطر نفحة ... فيحاء تحمل قبلة وتشوقا
فرجعت اقرأ ذكريات طفولتي ... فتدفقت آي الحنان تدفقا
وتتابعت صور تضيء خواطري ... وافتر في ليلي الضياء واشرقا
أماه طفلك كلما عصفت به ... ريح اقتراب في خيالك حدقا

فهذه الابيات عذبة لطيفة تصور حنان امه عليه وحنينه اليها .

وقوله في قصيدة عنوانها : على باب الله :

على باب عطفك قلب يذوب ... ايا من هديت فتابت قلوب

تركنـا الذنـوب وكانت ثقـالا   وفي روضة اللـه تلقى الذنوب

والبيتان عليهما مسحة روحية من التوبة والاستغفار .

وقوله في قصيدة عنوانها : صاعقة :

طالبـت بالثـأر آلام .....   من فلول الغدر في القدس الجريح
والشهيد الحر مـن بطن الضريح   صاح أين الحق حتـى استريـح
أضرموا بالزحف نـارا محرقه   فانقضضنا ملؤنـا روح الثقـه
قد جرى الحتف الذي لن تسبقه   صاعقـه

وهي ابيات تصرخ في وجوه الصهاينة الغادرين وتحفز ابناء يعرب للاخذ بالثأر وللشاعر قصائد كثيرة في الحماسة ونصرة فلسطين مما يدل على وطنيته الصادقة واخلاصه لعروبته وفي الديوان قصائـد طويلة متنوعة تتفاوت ابياتها في الجودة وعـدة قصائـد غزلية منها قولـه في قصيدة عنوانها : الساحرات : وهذه ابيات منها :

يـا عيون الغيد ان الشـ   ـعر أضحـى عبد نظـره
كـل عين تطلب الربـ   ـان حتـى ضل بحـره
صرت أهـوى الف انثى   كـل يـوم الـف مـره
صـرت جيرانـا بقلبـي   بعشـرت حـواء جمـره
وسع التجميل سجن الـ   ـقلـب واستعذبت اسـره

وليته قال : صرت جيران : بحذف الالف لانه ممنوع من الصرف وبالصواب يستقيم الوزن ولا ضرورة لصرفه .

وفي الديوان بعض الاخطا اللغوية والنحوية والعروضية لا يتسع المجال لذكرها . وقد تكرم الشاعر باهداء نسختين من ديوانه الي فله الشكر الجزيل .

جبلة ـ سورية   رشاد علي أديب

•

هي الاولى هو الاول

مجموعة شعرية ـ لانصاف الاعور معضاد ـ ٩٢ صفحـة ـ منشورات دار العودة ببيروت

الشاعرة انصاف معضاد الاعور . واحدة ، مـن اللائي يحركهن صوت « الزمن » المهاجر في اعماقها . المختبىء تحت لحاف التجربة المـرة . التي تعانيها ، حسيا ، ونفسيا ، فتجوب كطائر يعشق الهجرة في اوطان الكلمة النقية ، الجارحة ، المعباة بنشاط الحركة حيث يبان سلطـان « القرف » كنموذج حي ، للاستمرار في دوامات الانسحاق الكلي . من هناك ، من شرفة ذلك البرزخ تطل شاعرتنا ، حاملـة اصداء اعبائها ، حيث فم الانسانية تجر دماءها والنافضة شظايا عقلها عـلى مسرح اللامعقول . فتتابط ذراع قصائدها في ديوان جديد لها صدر في بيروت حديثا ، بعنوان « هي الاولى هو الاول » .

وبنظرة مغمورة بضبابية الدهشة ، تفتح في صدر ديوانها هذا . تأوهات صارخة ، صارمة ، عنيفة ، متالقة ، فتكتب بحس نابع مـن دفق زلال ، يغسل ادرانها العميقة ، ثائرة ، كالنبض القلبي . شارقة كالشمس ، كالسيف المشلوح فوق عنق الضحية . ولي في هذه الدراسة المقتضبة هذه التباريح المنطلقة من صوتها الانثوي النظيف .

وبهدوء تام للعاطفة القادمة من اعماقها . اراها كانتشار النور في جوانب الوهاد . هادئة ، صاحية ، مسيطرة . نافـذة الى اقاليم الخيالات المجنحة . حيث تبان اسئلتها ، محيرة ، فتقول :

يدي في الصحو
لكن طيور الوعي
تحاكـي النـداء

هـي الاولـى
هـو الاول .

اذا وراء سجف الاحلام ، عينان تتفتحان علـى نماذج الالهامات المنحدرة في آفاق الآباد . معرجة على سواحل آبادها الشاعرية . فتقص بدسم اليراعة النازفة من شفرتي يراعتهـا . فتـرى اصوات الولادات هي هي ، فتنفث من خرم ابرة العالم على وحدة الابجدية ، فتجد انه لا فرق ما بين الفها ويائها . والعطاءات هي هي على الرغم مـن تكرار الفصول ، والهزيع ، والليل ، والنهار . فتصور ذاتها الداخلية بهـذه الكلمات المقتطعة من حس وجدانها الابيض الرقيق :

لم يضجر طائر الليل من العتمة
والقطط لم تضجر من الولادة .

لكنني ، اقف في ادغال معلقة باقفال الرياح ، وانـا الملم صوتها المقصب بقطع الزمهرير ، والحب ، والانفعـال الصادق ، والنسمـة المتوارية في اوداجها . احسها ، في غربتي كانها اضواء متدلالة مـن خاصرة نجمة مجروحة بسهام القمر . تناغي ، تنشد ، تغرزم ، تتفكه . تنطق، ليتها كانت كجزيرة محاطة باشجار البطم، والزيزفون، صادقةالى ابعد هجرة في التعابير القوية ، الحرة فتقول :

بلادي امرأة مقتولة
بسيف جلاد جاهل
فاصل الوجدان
بلادي يـا عطشا
ترويـه الدمـاء .

وتتاكل القصيدة ، فياتي نشازها الساحر في هذا الاعتراف الكلي من مباهج النمو المقتول في رحم الزمن . فتختم صوتها بهذه المناغـاة الحلوة ، البهية :

تلمع في الكف
تلمع في الغابة السوداء
أسيرة صفراء
صفراء ـ كبهاء الكآبة .

انصاف شاعرة ، تحمل ازفتها واشجانها الى قلب العالم ، وتتمرغ على سواحل كلماتها ، تبعث في ذاتهـا دفء الليل والنهارات ، وهـي نادرة ، تمسد وجه فراغها بانامل قصائدها ، مباركة هـي الاحلام في قصائدها ذات الجرس العذب ، حيث يقام مهرجان الحفلـة العذراء ، لنيسان القادم في كل سطر من ابياتها ، انها احدى درر الشعر في تـاج لبنـان .

السويد   الاب يوسف سعيد

•

كتـب جـديـدة

١ ـ مجتمع الكراهية

تاليف سعد جمعة ـ ٢٩٦ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي ببيروت

عرفت الاستاذ سعد جمعة زميلا على مقعد الدراسة ، وعرفته المعيا بين اقرانه ، متميزا بالذكاء المفرط والحس المرهف ، والالمام الواسع بكـل موضوع يعالجه . وكنت خلال دراستنا اتعشم له المستقبل الزاهـر ، وتسنم اعلى المناصب ، حتى اوصله جده واقدامه ذات يوم الى رئاسة السلطة التنفيذية في الاردن ، وحمل متواضعا لقب « صاحب الدولة». وفي المناصب الرفيعة التي شغلها لم يهجر الكتاب ، ولم يتنكر للقلم ،

بل كان دؤوبا منذ حداثة سنه على المطالعة بشطريها العربي والانكليزي، وعلى تصوير خلجات نفسه ، واهتزازات قلمه على القرطاس ، تصويرا رائعـا .

قبل سنوات نشر اخونا « سعد » كتابا قيما عنوانه « المؤامـرة ومعركة النصر » وبعد هزيمة العرب في حرب اسرائيل هاله مـا أصاب المجتمع العربي من تفسخ في الاخلاق ، وتنكر للمبادىء ولتقاليد السلف الصالح ، فهب بقلمه السخي يعالج هذه الظاهرة الخبيثة بكل ما حباه الله من عزم وايمان ، وهمه ان يعالج العلل التي اصطلحت على امته ، ويوقظ الامة الصامتة المتقاعسة عن تقدير خطر الاحداث النازلة بها ، وردعها عن الضلال الذي هامت فيه !

وبلباقته التي عرفناها فيه على مقاعد الدراسة انبرى « سعد » يصور الغزو الفكري الذي يهدد العالمين العربي والاسلامي ، ويدعو الى الرجوع الى المبادىء الاخلاقية النابعة من الدين التي يقترحها لدرء الخطر الصهيوني والغزوات الصليبية ، ولتنظيم مسيرة سلمية يساهم فيهـا قادة الرأي من الشعوب الاسلامية والشعوب الصديقة .

وفي يقيني لو ان المسؤولين العرب ياخذون بالعلاج الناجع الذي وصفه اخونا صاحب القلم البليغ لاسترد العرب والمسلمون ماء الوجه ... ولفازوا باحترام الشعوب المتمدينة وتقدير الامم الغاهضة !

وبعد هذه التوطئة العابرة رجائي ان يتقبل اخونا الاديب الدبلوماسي سعد جمعة تهاني زميل حفظ له الود والتقدير منذ عهـد بعيد ، وتعشم له ارفع المناصب وهو قمين بها .

٢ ــ ديوان شعـر الحادرة

حققه وعلق عليه الدكتور ناصر الدين الاسد ــ ٢٣٨ صفحة ــ مطابـع الشركة المصرية للطباعة والنشر بالقاهرة

« الحادرة » شاعر جاهلي ذائع الصيت والصوت وقد ادعته ثـلاث قبائل عربية ، فقيل له : الحادرة القطفاني ، والحادرة الذبيانـي ، والحادرة التغلبي ، ونسبته الى « ذبيان » هي الاشهر والاغلب .

وتقديرا لادب هذا الشاعر الجاهلي بدأ اهتمام الاديب البحاثـة الدكتور ناصر الدين الاسد ، احد اعمدة الدائرة الثقافية في جامعـة الدول العربية ، بشعر الحادرة واولاه عنايته واهتمامه حين عثر مصادفة على نشرة قصيدها في دار وراق بالقاهرة ، وراح يطلع عـلى مخطوطات ديوانه ومصوراته في دار الكتب بالقاهرة وعلى ما في معهـد المخطوطات بجامعة الدول العربية مـن (افـلام) المخطوطات في مكتبات الاستانة والهند ، وعكف على نسخ الديوان ودراستها ، كما رجع الـى النسخ الموجودة هنا ... وهناك ... حتى فرغ من تعليق حواشيه ، معـولا على ست نسخ للديوان ، ودفع فصوله الى مطابـع الشركة المصرية للطباعة والنشر ، فخرج الديـوان وحواشيه طافحا بتعليقات قلـم الدكتور الاسد .

فليتقبل اخونا « ابو بشر » شكر الادب واهل القلم على الجهـد الذي بذله في تحقيق ديوان الشاعر الحادرة الذي سينام قرير العين في لحده بعد ان جلا الغبار عنه الدكتور الاسد في كتاب نفيس حققـه وعلق عليه !

٣ ــ رحيـق المـرح

للشاعر محمد حسن علاء الدين ــ ١١١ صفحة ــ مطبعة « جمعيـة عمال المطابع التعاونية » بعمان

« رحيق المرح » كتاب طريف يعالج اعماق النفس البشرية بنفس شاعرة متفتحة متجردة ، وهذه الاعماق يعالجها الشاعر محمد حسن علاء الدين بابعاد عالية قومية في آن واحد . يوجه الشاعر قلبه ووجدانه وعقله الى ينابيع الشرق القديمة . وعلى هذا المحـك المرهف الدقيـق يعرض الشاعر كل الحضارات غربية وشرقية : ولا يحيرنا رغم اتساع البحث ، اذ انه يحصر اعماق الحياة في اربع كلمات هي : التفاهم والغيرة ثـم التقدير والمرح . وفي هذه المعاني الاربعة يرى الشاعر حلا لكل مشاكل هذا العالم ، فالتفاهم نوع من الحب ان قرن بالغيرة ، والتقدير نـوع من الاستمرار والثبات ان قرن بالمرح .

ولا يكتفي الشاعر الاستاذ علاء الدين بان ينوه بقيمة هذه المعاني بل يعرج تعريجة واسعة على حضارة الشرق فيستنبط مـن اسلام الشرق معاني ثلاثة هي : السلام والنظام والفضيلة ، يحصر الشاعـر اهداف الاسلام في هذه الاعمدة الثلاثة ولا يحتاج الى اي تخبط لا ولا الى اي تمييع ، وفي الوقت ذاته يربط هذه الاهداف الثلاثة بشريعـة بوذا المصلح الكبير الذي سبق مجيئه مجيء السيد المسيح بخمسمئـة عام ولا ينفك الالوف من سكان هذه الارض يعتنقون مبادئه السامية ، ويربط هذه المعاني الثلاثة بدعوة نبي المحبة والسلام السيد المسيـح الذي اتى ممهدا لرسالة النبي العربي الكريم ، واشرب عاليـة الحب فنفثها بسحر بيانه ازلا في قلوب الشرق ، فبعث محمد صلى الله عليه وسلم ليجسم معانيه ومبادئه ودعوته الى الحق والسلام والخير .

ومن استنباط شاعرنا اربعة اسس هي حصيلة وجـود البشر في هذه الارض ، وثلاثة اسس هي فحوى الشريعة المحمديـة السمحاء ، ويضيف الشاعر الى هذه الاسس السبعة ابعادا ثلاثة هي ركيزة لفهم هذه الاسس ، وهذه الابعاد الثلاثة هي : الطبيعة ، النفس ، الزمن . ويخالف الشاعر انشتين فيبرهن على ان الزمن شيء محـدود . وفي الوقت ذاته يحلل نظرة الانسان الى الزمن تحليـلا وجدانيا يرتبط بالطبيعة والنفس .

وفي هذا الكتاب يصل الشاعر الى حل مشاكل التخبط الـذي تغلغل شره في اوساط ذوي الثقافة النصفية الذين مسخوا شخصيـة هذا الشرق الكبير ، هذا الشرق النبيـل في آسيا وافريقية ويضع الشاعر اصابع هذا الشرق على الطريقة التي يحل بها هـذا الشرق مشكلة المرأة ومشكلة الالحان (الموسيقى) ومشكلة الملحمة الشعريـة العربية الطويلة ومشكلة العروق والمذاهب . كل ذلك في توسع لا ينقصه اي انتام ، وفي تضاعيف كـل هـذا البحث يورد الشاعر اشعارا مـن منظومه منها قطعة يتغنى بها بمجد لبنـان جهـده وطبيعته ومستهلا اياها بقوله :

لبنان هاتي طيفك الفتانا ... علي اغيب عن الوجود زمانا

ومنها قطعة يتململ فيها الشاعر من الاوضاع التي تسود العالم العربي الكبير فيستهلها بقوله :

قلبي يحدثني حديثا لاذعـا ... فيه التهكم يضحك الالبابـا

ومنها قطعة يناجي فيها الجمال العميق فيقول في استهلالها :

اواه يا قلبي اما لك غايـة ... فيهـا تحط حنينـك المشبوبـا

عمان ــ الاردن — البدوي الملثم